

اللهثارة النبيوية

أحمد تيمور باشا

الآثار النبوية

تأليف
أحمد تيمور باشا



الأثار النبوية

أحمد تيمور باشا

رقم إيداع ٢٠١٢ / ١٧٨٣٥
تدمك: ٧١٩ ٧٧٧ ٩٧٨ ٠٧٢٥

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٠١٢/٨/٢٦

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تلفيون: +٢٠٢ ٢٢٧٠ ٦٢٥٢ فاكس: +٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: <http://www.hindawi.org>

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي
للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية
العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2012 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	العلامة المحقق المرحوم أحمد تيمور باشا
٩	كلمة اللجنة
١١	مقدمة
١٣	القضيب والبردة
٢٥	المنبر والسرير والخاتم والعمامة والسيف
٢٩	الأثار النبوية في مصر
٤٥	آثار القدم الشريفة على الأحجار
٦٣	الأثار التي بالقسطنطينية
٧١	الشعرات الشريفة
٨٥	العلم النبوي
٩١	الركاب النبوي
٩٣	النعال النبوية
١٠٩	الخاتمة

العلامة المحقق المرحوم أحمد تيمور باشا



كلمة اللجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

دأبت «لجنة نشر المؤلفات التيمورية» على البحث عن شتى المؤلفات الخطية وغير الخطية من آثار المغفور له العلامة المحقق «أحمد تيمور باشا» توطئة لتقدير ما تراه بشأن طبعها.

وقد اجتمعت كلمة اللجنة ببرиاسة سعادة الشيخ المحترم العالم «خليل ثابت بك» – وبالبلاد مقبلة على موسم الحج والزيارة – على أن تقدم للطبع كتاب «الأثار النبوية الشريفة» على سائر ما لدى اللجنة من المؤلفات التيمورية الكثيرة المشار إليها. وقد بادرت إدارة اللجنة إلى تنفيذ هذه الرغبة الكريمة في طبع هذا الكتاب ونشره، وهو ولا شك كتاب فريد في أسلوبه، حافل ببحوث شتى في آثار الرسول العظيم صلوات الله عليه وسلم.

وبهذه المناسبة نذكر أن الفقيد العلامة «أحمد تيمور باشا» نشر في حياته جانباً من هذه البحوث التفيسة في «مجلة الهدایة الإسلامية» وتولى بنفسه بعد ذلك إدخال بعض الإصلاحات على النسخة المطبوعة، وزاد في تعليقاته في بعض الموضع، وأضاف إلى ما كتب من قبل جديداً من بحثه واطلاعه.

وقد راجعت اللجنة تصحيحت الفقيد لأصول البحوث، وأضافت إليها ما عثرت عليه من تعليقاته وملحوظاته التي كانت مبعثرة هنا وهناك من تراثه التفيس الذي تسلمه اللجنة، حتى استكمل هذا المؤلف شتى جزئياته وكلياته، وبذا اليوم كاملاً شاملًا رائعاً

سهل العبارة غزير المادة، شأن جميع المؤلفات التيمورية التي عنيت اللجنة بنشرها تباعاً، فلقيت من جمهور القراء في مصر وسائر الأقطار العربية والإسلامية تقديرًا وإقبالًا، مما شجعها على مواصلة جهادها في سبيل خدمة العلم ونشر الثقافة العامة في مصر وشتي أنحاء العالم العربي.

ومما هو جدير بالذكر، أن هذا المؤلف هو آخر البحوث النفيسة التي اختتم بها الفقيد العظيم حياته الطيبة المباركة، تقرباً إلى الله، وإعلاء لشأن الدين، وخدمة للعلم والتاريخ، وقد بلغ الفقيد غايتها، وأدى رسالته؛ رحمة الله وأجزل مثوبته.

مقدمة

لم أقصد ببحثي هذا سرد ما دون من الآثار الشريفة التي اختص بها محمد ﷺ في حياته، وخلفها بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى من سلاح ومراكب وثياب وألات وغيرها، فإن في كتب السيرة من بيان ذلك ما يغنى عن التحدث به إلى القراء، وإنما قصدت أن أحديثم عن آثار اشتهرت نسبتها إليه ﷺ وتداولها الناس بلا تمييز من غالبهم بين صحيحها وزائفها، لأبين ما حققه العلماء عنها، وسأبدأ بالقضيب والبردة لاشتهرهما في الخلافة العباسية، والله در العلامة الأديب صلاح الدين الصفدي حيث قال فيما صح من هذه الآثار:

أكرم بآثار النبي محمد من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دونك فانظري وتمتعي إن لم تريه فهذه آثاره

واقتدى به جلال الدين ابن خطيب داريا الدمشقي فقال:

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره
إن لم تريه فهذه آثاره فلقد ظفرت من الزمان بطائل

القضيب والبردة

أثران نبويان كانا من شارات الخلافة في الدولة العباسية، كما كان الخاتم من الشارات السلطانية في دول المغرب، والمظلة في الدولة الفاطمية على ما يقول «ابن خدون»^١، غير أن الخاتم والمظلة وغيرهما من الشارات لم تكن لها قيمة أثرية كالشارة العباسية، ولا سيما في شرف النسبة إلى المقام النبوي الكريم، وإنما كانت آلات محدثة في تلك الدول، قيمتها فيما كان بها من التحلية والترصيع.

أما القضيب: فالمروي في كتب السيرة أن النبي ﷺ كان له قضيب من شوَحَط يسمى المشوق، قيل: وهو الذي كان الخلفاء يتداولونه. قال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية: «وأما القضيب فهو من تركة رسول الله ﷺ التي هي صدقة، وقد صار مع البردة من شعار الخلافة». وكان الرسم أن يكون بيد الخليفة في المواكب^٢، وكانوا يطرون البردة على أكتافهم في المواكب جلوساً وركوباً. قال ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية: «كان الخليفة يلمسها يوم العيد على كتفيه ويأخذ القضيب المنسوب إليه ﷺ في إحدى يديه، فيخرج عليه من السكينة والوقار ما يصدع القلوب ويبهر الأ بصار» ا.هـ. وبلغ من عنايتهم بهذين الأثرين الشريفين أنهم كانوا كلما قام منهم خليفة اهتم بهما اهتمامه بالبيعة، فإذا كان غائباً بعثوا بهما إليه مع بشير الخلافة الذي يبردونه، وما زالت الشعراة تذكرهما في مدائح الخلفاء العباسيين إلى انقراض دولتهم من العراق تنويهاً بانفرادهم عن سائر الدول بهذه المنقبة، كقول البحتري من قصيدة يصف فيها خروج المتوكل للصلوة والخطبة يوم عيد الفطر:

أيدت من فصل الخطاب بحکمة تنبی عن الحق المبين وتخبر

بالله تنذر تارة وتبشر
نفس المرؤى واهتدى المثيرٌ
ووقفت في برد النبي مذكراً
حتى لقد علم الجهول وأخلصت

وقوله من أخرى فيه:

يُ مخايل شهدت برشدك
ببردة من فوق برك
وعليك من سيماء النب
تبدو عليك إذا اشتملت

وقوله من أخرى فيه أيضًا:

تخشى لحكم قاصد وتومل
وغدوت في برد النبي وهديه

وقوله فيه أيضًا — وقد ذكر آثاراً أخرى كانت عند الخلفاء سفند الكلام عليها:

وирضى من سيرة ما تسير
كل حقٌّ سواه إفك وزور
والبرد والعصا والسرير
يتولى النبي ما تتولا
حزت ميراثه بحقٌّ مبين
فالسيف والعمامة والخاتم

يريد بالعصا: القضيب وقوله فيه أيضًا:

وأنت به أولى إذا حصص الأمر
وسيماه والهدي المشاكل والنجر
عليك ثياب المصطفى ووقاره
عمامته وسيفه ورداوه

وقال من قصيدة يمدح بها المعتر بن المตوك، ويهجو المستعين بعد خلعه:

ليعجز والمعتز بالله طالبه
وغرّى من برد النبي مناكبه
ولم يكن المعتر بالله إذ سرى
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر

وذكر ابن خلكان في وفياته عن ميمون بن هرون أنه قال: رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ وحاله مت烹كة فسألته فقال: كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال: لست أقبل إلا من قال مثل قول البحتري في المتكول:

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر

فرجعت إلى داري وأتيته، وقلت له: قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري في المتكول
قال: هاته! فأنسدته:

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته يظن لظن لبرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيتني ولبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه

قال: ارجع إلى منزلك وافعل ما أمرك به، فرجعت فبعث إلى بسبعة آلاف دينار
قال: ادخر هذه للحوادث من بعدي، ولك على الجراية الكفاية ما دمت حياً أهـ.
ومن ذلك قول الأبيوردي من قصيدة في المقتدى بالله:

طويين بنا طي الرداء الفيافي
من الفخر أن نهدي إليه القوافي
وجدنا المعالي فاخترعننا المعانيا
بلغنا المنى حتى اقتسمنا التهانيا
إلى المقتدى بالله والمقتدى به
ولذنا بأطراف القوافي وحسينا
ولم نتكلف نظمهن لأننا
أيا وارث البرد المعظم ربه

وقوله من قصيدة في المستظرifer بن المقتدى:

نور يجير على الدجي مرموق
كرماً يفوق المزن وهو دفوق
من دونها للمشرفي بريق
وعله من سيماء آل محمد
والبرد يعلم أن في أثنائه
أفضت إليه خلافة نبوية

وقول الأرجاني من قصيدة في المسترشد بن المستظر:

ومن كرم من قبل أن ترث البردا
تولاه من كان المشير به م جدا
إليك انتهى إذ كنت من بينها فردا

ورثت الذي قد ضمه البرد من تقى
ووليت من أمر^٠ القضيب شبيه ما
وما هو إلا أمر أمهه الذي

وقوله من أخرى فيه:

في ليلة المراج فرقا فوق الفرقاد
أمسى به ظهر البراق وقد حدى
من كف خير الأنبياء محمد^٦

يا وارث البرد المجرر ذيله
ومعه دا يده التخصر بالذى
سلبا هدى عبق النبوة فيهما

وقول سبط بن التعاويذى من قصيدة في المستضيء بن المستنجد:

طاء يوم الندى من الديم
تم والسيف مالك الأمم
وكان لولاه غير ملتئم^٧

إن يد المستضيء أسمح بالإاع
 الخليفة الله وارث البرد والخا
 معيد شمل الإسلام ملتئما

وقوله من أخرى فيه:

لكم ومنبرها معًا وحسامها
عصابة وطيء الثرى أقدمها

آل النبوة بردتها وقضبها
أبناء عم المصطفى الهادي وخير

وقوله من أخرى في الناصر بن المستضيء لما بويع بالخلافة:

طود من الأئمة راسي
جلال يضيء كالنبراس

ورأينا برد النبي على منكب
مالئا هديه المواقف من نور

وقوله من أخرى:

ورث النبوة منبراً ولخلافة
فلمنكب ولعائق ولخنصر
برد وسيف لا يفل وخاتم
وتقية^٨ فعليه منها ميس

منه ثلاث قدرهن معظم
فمجلبب ومقلد ومختوم

وقوله من أخرى فيه:

له خاتم المبعوث أَحْمَدَ خاتِمَ النَّ
بُوْهَةَ مُورُوْيَّا مَعَ السَّيْفِ وَالْبَرْدِ
وَمَا بَرَحَتْ طَيْرَ الْخِلَافَةِ حَوْمَا
عَلَيْهِ كَمَا حَامَ الظَّمَاءَ عَلَى الْوَرْدِ

صفة البردة

في الكلام على شعار الخلافة من صبح الأعشى نقلًا عن ابن الأثير أن بردة النبي ﷺ التي كان الخلفاء يلبسونها في المواكب كانت شملة مخططة، وقيل: كانت كساء أسود مربعاً فيها صغراء. وفي تاريخ الخلفاء للسيوطى: «أخرج الإمام أحمد في الزهد عن عروة بن الزبير (رضي الله عنه) أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمي طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء قد خلق وطوروه بثياب تلبس يوم الأضحى والفتر» أ.هـ.

اختلافهم فيها

لا خلاف بين المؤرخين في كون البردة العباسية أثراً نبوياً صحيحاً، ولكن لما كان المخالف عن النبي ﷺ بردتين اختلفوا في التي صارت منها لبني العباس. قال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية: «وأما البردة فقد اختلف الناس فيها، فحكي أبيان بن ثعلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لكتعب بن زهير واشتراها منه معاوية (رضي الله عنه)، وهي التي يلبسها الخلفاء، وحكي ضمرة بن ربيعة أن هذه البردة كان رسول الله ﷺ أعطاها أهل أيلة أماناً لهم، فأخذتها منهم سعيد بن خالد بن أبي أوفى، وكان عملاً عليهم من قبل مروان بن محمد، فبعث بها إليه وكانت في خزائنه حتى أخذت بعد

قتله، وقيل اشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار^١. وقد حكى هذا الخلاف في صبح الأعشى وتاريخ الخلفاء للسيوطى وأخبار الدول للقرمانى وحاشية البغدادى على شرح ابن هشام على بانت سعاد. وتفصيل هذه الإجمال فى الرأى الأول: أن كعب بن زهير بن أبي سلمى (رضي الله عنه) لما بلغه إسلام أخيه بجير غضب وبعث إليه بأبيات يلومه فيها على إسلامه، فأهدى النبي ﷺ دمه، ثم هداه الله إلى الإسلام فقدم المدينة وقصد المسجد فجلس بين يدي النبي ﷺ تائباً مسلماً وأنشده قصيدة بانت سعاد المشهورة، فلما وصل إلى قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

رمى النبي ﷺ إليه بردة كانت عليه^٢، فلما كان زمن معاوية (رضي الله عنه) أراد شراءها من كعب بعشرة ألف درهم، فأرسل إليه يقول: ما كنت أوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم، قالوا: وهي التي عند الخلفاء العباسيين. وهو قول عز الدين بن الأثير في كتابيه: الكامل وأسد الغابة، والخوارزمي في مفاتيح العلوم، وابن هشام في شرح بانت سعاد، وأبي الفداء سلطان حماة في تاريخه، وابن حجر في الإصابة، ومؤرخين غيرهم كثيرين.

ولم يذكر ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية غير الرأى الثاني فقال: «قال الحافظ البيهقي: وأما البردة التي عند الخلفاء فقد رويانا عن محمد بن إسحق بن يسار في قصة تبوك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم، فاشتراها أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار، يعني بذلك أول خلفاء بنى العباس، وهو السفاح رحمة الله تعالى، وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلفه». وهو قول الذهبي أيضاً على ما في تاريخ الخلفاء للسيوطى ونص عبارته: «وأما الذهبي فقال في تاريخه: أما البردة التي عند الخلفاء آل عباس فقد قال يونس بن بكير عن ابن إسحق في قصة غزوة تبوك: إن النبي ﷺ أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم، فاشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار». قال السيوطى: «فكان التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بنى أمية». وقال القرمانى: وقيل كُفن فيها معاوية. وذكر ياقوت هذه البردة في معجم البلدان ولم يتعرض لخبر انتقالها إلى الخلفاء فقال في كلامه على أيلة: «ويقال إن بها برد النبي ﷺ، وكان وهبه ليحنة بن رؤبة^٣ لما سار إليه إلى تبوك». وكذلك فعل المقرizi في خططه والجزيري في درر الفرائد المنظمة

في ذكره أن من بها من اليهود يزعمون أن عندهم برد النبي ﷺ الذي وجه به إليهم أماناً لهم، وأنهم يظهرونه رداء عديناً ملفوفاً في الثياب، وقد أبرز منه مقدار شبر لئلا تدنسه الأيدي.

والخلاصة: أن البردة العباسية إما أن تكون بردة أيلة بقيت عند أهلها إلى أن اشتراها السفاح بثلاثمائة دينار، أو إلى أن انتزعها منهم عامل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وحملها إليه، ثم صارت من بعده للعباسيين، وإما أن تكون البردة الكعبية التي اشتراها معاوية (رضي الله عنه)، ثم حفظت عندبني أمية حتى ورثها منهم العباسيون، وأكثر المؤرخين على هذا الرأي، وقد فصل المسعودي في مروج الذهب خبر العباسيون، فأكثر المؤرخين بما لم نره لغيره من المؤرخين، فذكر ما كان مصرير البردة والقضيب إلى بنى العباس بما لم نره لغيره من المؤرخين، فذكر ما كان من فرار مروان بن محمد بن العباسين إلى مصر، وأنهم لحقوه بها، وقد نزل بوصير فهموا عليه وقتلوه، ثم رأوا خادماً له شاهراً سيفه يحاول الدخول إلى بناته، فأخذوه وسألوه عن أمره، فقال: أمرني مروان إذا هو قُتل أن أضرب رقب بناته ونسائه، فلا تقتلوني فإنكم والله إن قتلتني ليفقدن ميراث رسول الله ﷺ. فقالوا له: انظر ما تقول، قال: إن كذبت فاقتلوني، هلموا فاتبعوني، ففعلوا فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل فقال: اكتشفوا هنا فكشفوا فإذا البرد والقضيب ومخرمة^{١٢} قد دفنتها مروان لئلا تصل إلى بنى هاشم، فوجه بها عامر بن إسماعيل إلى عبد الله بن علي، فوجه بها عبد الله إلى أبي العباس السفاح، فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس.

مصير البردة والقضيب

ذكر ابن الزيارات في الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة بالقرافتين الكبرى والصغرى قبراً اشتهر بأنه قبر صاحب البردة، واستطرد في الكلام عليه لذكر البردة النبوية فقال: «قال ابن عثمان: هو صاحب البردة يعني بردة النبي ﷺ، وذلك غير صحيح، قال المؤلف: وبردة النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغنا في آثار النبي ﷺ التي دخلوا بها إلى مصر أن فيها بردة غير البردة التي في أيدي بنى العباس، وهي موجودة عندهم إلى الآن، ولم يذكر علماء التاريخ أنه دخل إلى مصر من الصحابة ومن له بردة من اسمه صاحب البردة. وأثار النبي ﷺ مثبتة عند العلماء، ويحتمل أن تكون هذه البردة بردة رجل من الصالحين»^{١-٢}. وإنما نقلنا هذه العبارة لبيان ما فيها من الوهم، فإن وفاة ابن الزيارات كانت سنة ٨١٤، وقوله عن البردة: «وهي موجودة عندهم إلى الآن» يفيد بقاءها بأيديهم

إلى عصره، وال الصحيح أنها فقدت قبل ذلك بقرن ونيف، ولعله نقل هذا القول عن مؤرخ قديم كانت البردة في زمانه عند الخلفاء، وسها عن التنبيه عليه.

وقال المسعودي بعد عبارته المتقدمة في مصير البردة والقضيب إلى العباسين ما نصه: «فتداولت ذلك خلقاء بنى العباس إلى أيام المقتدر». فيقال: «إن البرد كان عليه يوم مقتله، ولمست أدربي أكل ذلك باق مع المتقى الله إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة في نزوله الرقة أم قد ضيع ذلك». وفي صبح الأعشى: «وكان القضيب والبردة المقدماً الذكر عند خلقاء بنى العباس ببغداد إلى أن انتزعهما السلطان سنجر السلاجقى^{١٢} من المسترشد بالله ثم أعادهما إلى المقتفي عند ولادته سنة خمس وثلاثين وخمسين وستمائة، والذي يظهر أنهما بقيا^{١٣} عندهم إلى انتهاء الخلافة من بغداد سنة ست وأربعين وستمائة، فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة، وهي مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتها». وفي تاريخ الخلفاء للسيوطى عن البردة: «وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم، وأظن أنها فقدت في فتنة التتار، فإن الله وإنما إليه راجعون» وفي خزانة الأدب للبغدادى عن كعب بن زهير: «فأمنه النبي ﷺ وأجازه بردته الشريفة التي بيعت بالثمن الجزيء، حتى بيعت في أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم^{١٤}، وبقيت في خزائن بنى العباس إلى أن وصل المغول^{١٥} وجرى ما جرى والله أعلم بحقيقة الحال». قلت: والذي يؤيد بقاء البردة والقضيب عند الخلفاء إلى آخر مدتهم ببغداد ورود ذكرهما فيما تقدم من مداخن الشعراء إلى زمن الناصر بن المستضيء، وذكر السيوطى في تاريخ الخلفاء عن ابن الساعي أنه حضر مبادعة الخليفة الظاهر وهو ابن الناصر المذكور فرأه بثياب بيض والبردة النبوية على كتفه، وكانت خلافته سنة ٦٢٢ في أواخر أيام دولتهم ببغداد، ولم يكن بعده غير خليفتين المستنصر والمستعصم، ثم كانت كائنة التتار وانتقلت الخلافة العباسية الصورية إلى مصر، وقد صرح القرمانى في موضعين من تاريخه أخبار الدول بمصير البردة والقضيب، فذكر أن هلاكو^{١٦} لما طرق بجيشه بغداد سنة ٦٥٦ وأشار وزير الخلافة مؤيد الدين العلقمي على الخليفة المستعصم بالخروج إليه ومصالحته، فخرج إليه في جمع من العلماء والأعيان، والبردة النبوية على كتفيه والقضيب بيده، فأخذهما منه هلاكو وجعلهما في طبق من نحاس وأحرقهما وذر رمادهما في دجلة، وقال: ما أحرقتها استهانة بهما وإنما أحرقتهما تطهيراً لهما. أ.هـ. ثم أمر بقتل جميع من خرج إليه فقتلوا، ووضع الخليفة وولده في جوالقين وضربا بالأراذب ومداق الجص حتى ماتا، وفي هذه الكائنة التي لم ينكب

الإسلام بمثلها يقول ابن خلدون: ونزل هلاكو بغداد وخرج إليه الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فاستأمن لنفسه ورجع بالأمان إلى المستعصم وأنه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم، فخرج المستعصم ومعه الفقهاء والأعيان، فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه، ثم قتل المستعصم شدحاً بالعمد ووطأً بالأقدام لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت وذلك سنة ست وخمسين، وركب إلى بغداد فاستباحها واتصل العبث بها أيامًا، وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح فداستهم العساكر وما توا أجمعين ويقال: إن الذي أحصى ذلك اليوم من القتلى ألف وستمائة ألف.^{١٨} واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعد، وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهما جمیعاً في دجلة، وكانت شيئاً لا يعبر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح في كتب الفرس وعلومهم». ا.هـ. كلام ابن خلدون.

(تنبيه) روى القرماني في أخبار الدول خبر البردة الكعبية وبقائها عند بني العباس إلى أن أحرقها هلاكو مع القضيب كما مر، ثم حكى قول من خالف وزعم أن التي كانت عندهم بردة أيلة لا بردة كعب، وأعقب هذا القول بقوله: «وأظن أنها البردة التي وصلت لسلطين آل عثمان، فهي اليوم عندهم يتباركون بها ويستقون ماءها لمن به ألم فييراً بإذن الله، واتخذها المرحوم السلطان مراد خان تغمده الله بالرحمة والغفران صندوقاً من ذهب زنته (...)^{١٩} مثقال فوضاعها فيه تعظيمًا لها». ا.هـ. ولا يخفى أن بني العباس لم يكن عندهم غير بردة واحدة أحرقها هلاكو سواء كانت بردة كعب أو بردة أيلة، والذي ظنه المؤلف لا يتجه إلا بتقدير جمعهم بين البردين وانتقال الأليلية إلى بني عثمان بعد إحراق هلاكو للكعبية، وهو شيء لم يقل به ولم ينقله فيما نقله من الأقوال حتى يصح له بناء ظنه عليه، وسيأتي الكلام على ما كان عند بني عثمان من الآثار في فصل خاص.

هوامش

- (١) المراد هنا بالخاتم حلية الإصبع المعروفة، وكانوا يستجidon صوغه من الذهب ويرصونه بفصوص الجوادر واليواقيت ويلبسه السلطان شارة في عرفهم، أما المظلة فلم ينفرد بها الفاطميون، بل كان يشاركونهم فيها ملوك الدول الأعجمية بالشرق كبني سلجوقة وغيرهم تقليداً للملوك الصينيين، وإنما اشتهر الفاطميون بمظلتهم لأنها كانت أبدع المظلات وأكثرها زخرفاً وترصيعاً.

(٢) كان من آلات المواكب في الخلافة الفاطمية بمصر قضيب سماه صاحب صبح الأعشى بقضيب الملك، وقال: إنه «عود طوله شبر ونصف ملبيس بالذهب المرصع بالدر والجوهر يكون بيد الخليفة في المواكب العظام». انتهى. وكأنهم أرادوا به محاكاة شارة العباسين، وشتان ما بين التكحل والكحل.

(٣) هذه القصيدة من أجود شعر البحتري ولكن قضي عليها سوء الحظ أن يختارها اليسوعيون لكتابهم مجاني الأدب (ج ٥ ص ١٦١ طبع سنة ١٨٨٤ م) فيغيروا فيها ما شاء الله لهم الهوى أن يغيروه، فإنهم لما ذكروا قوله في وصف احتشاد الناس والجند وخروج الخليفة عليهم في ذهابه إلى المصلى:

والبيض تلمع والأسنة تزهر
والجو معتكر الجوانب أغبر
طوراً ويطفئها العجاج الأكدر
تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
يومي إليك بها وعين تنظر
من أنعم الله التي لا تكفر
لما طلعت من الصفوف وكبروا
فالخيل تصهل والفارس تدعى
والأرض خاسعة تميد بثقلها
والشمس ماتعة توقد بالضحى
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت
وافتنت فيك الناظرون فإصبح
يجدون رؤيتك التي فازوا بها
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا

عز عليهم أن يذكر سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ويدرك معه خليفته وابن عمه فجعلوا صدر هذا البيت (ذكروا بطلعتك الرشيد فهلووا) ولما وصلوا إلى بيت البردة جعلوه (ووقفت في برد الخطيب مذكرة) فليتبه لذلك، فإن كثيرين من النساء يثقون بكتبهم، فيقعون فيما حرفوه وبدلوه.

(٤) أورد عبد الرحيم العباسي البيتين والقصة ببعض اختصار في نوع الغلو من معاهد التنصيص، ومثله في فوات الوفيات لابن شاكر.

(٥) كذا في نسخة مخطوطة عتيقة عندنا من ديوانه، والذي في المطبوعة (ملك).

(٦) عولنا فيها على ما في النسخة العتيقة لأنها أصح من المطبوعة.

(٧) يشير بذلك إلى زوال الدولة الفاطمية في زمن المستضيء، وإعادة الخطبة لبني العباس بمصر والشام والججاز واليمن وبرقة.

(٨) كذا في نسختين من ديوانه إحداهما مخطوطة.

(٩) أي له الخاتم موروثاً مع السيف والبرد من النبي المبعوث خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام.

(١٠) قال البغدادي في حاشيته على شرح ابن هشام على بانت سعاد: «ولهذا تسمى هذه القصيدة قصيدة البردة، وقد سمى الناس قصيدة البوصيري بقصيدة البردة تشبيهاً بها للتبرك، والصواب تسميتها بالبردة بالهمز لبرء. ناظمها من الفالج».

(١١) يحنة بضم الياء وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء وهو صاحب أية، ورؤبة بالياء الموحدة.

(١٢) في النسختين الباريسية والبولاقية من مروج الذهب (ومحصر) بغير تاء.

(١٣) سنجر بن ملكشاه السلاجوقى سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر، ولد سنة ٤٧٩ وتوفي سنة ٥٥٢ بمرو ودفن بها وهو بكسر السين وسكون النون وفتح الجيم، وسبب تسميته بذلك أنه ولد بمدينة سنجار فسماه والده بذلك أخذًا من اسم المدينة، والسلجوقي بفتح السين وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف، نسبة لجده الأعلى سلجوق بن دقاق (بضم الدال المهملة وبين القافين ألف وقد يقال تقاق بالباء).).

(١٤) في الأصل (أنها بقيت).

(١٥) المعروف أن الذي اشتري البردة الكعبية معاوية (رضي الله عنه)، والذي اشتري البردة الأيالية أبو العباس السفاح في قول كما تقدم، فذكر البغدادي المنصور سهو منه والله أعلم.

(١٦) المغول بضمتين قوم هلاكو، وقد يقال: المغل بلا واو، وهم من القبائل التورانية ويعدهم بعض المؤرخين من التتار، والأكثرون على أنهم جنسان متقاربان، وإنما غلب التعبير عنهم بالتتار في التواريخ العربية؛ لأنهم استخدمو في غزوهم بلاد الإسلام كثيراً من التتار في جيوشهم.

(١٧) هُلَاكُو بضم الهاء وتحقيق اللام وضم الكاف وقد يقال: هولاكو بواو بعد الهاء: أول الملوك الإلخانية بفارس، وهو ابن تولي خان ابن طاغية المغول الأكبر جنكيز خان أرسله أخوه منكوفاً أن ملك المغول إلى فارس ففتحها وتولى أمرها ثم استولى على العراق، وكان منه ما كان إلى أن هلك بالمراغة سنة ٦٦٣ كما في التواريخ التركية وتاريخ ابن الفرات، والذي في المنهل الصافي سنة ٦٦٤، وقال ابن خلدون سنة ٦٦٢.

(١٨) أعاد ابن خلدون خبر هذه الكائنة في كلامه على دولة بني هلاكو فقال: «إن عدد القتلى كان «ألف ألف وثلاثمائة ألف». والذي يذكره مؤرخو الترك مع تشيعهم

لهلاكو وإحسانهم الظن به أن عدد الذين قتلهم في هذه الواقعة من أهل بغداد البالغين خاصة بلغ ٨٠٠ ألف نسمة، فإذا ضمننا إليهم قتل الجيش المجموع من المملكة العراقية الذي أباده قبل أن يصل إلى أهل بغداد ثم قتل الصبيان غير البالغين الذين داستهم سبابك الخيل وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح ظهر لنا أن عبارة ابن خلدون التي صدرها بكلمة (ويقال) ليست بعيدة عن الصواب.

(١٩) بياض بمقدار كلمة في النسخ الثلاث التي عندنا من هذا التاريخ.

المنبر والسرير والخاتم والعمامة والسيف

تقديم في مدائح الشعراء للخلفاء العباسيين ذكر آثار نبوية كانت في حيازتهم غير القصيبي والبردة، وهي المنبر والسرير والخاتم والعمامة والسيف. وإلى القراء الكرام ما وقفنا عليه وما ظهر لنا فيها:

أما المنبر: فالثابت المحقق أن منبره عليه السلام الذي كان يخطب عليه لم ينقل من مسجده، وإنما كان معاوية (رضي الله عنه) أراد نقله إلى الشام، وكتب بذلك إلى مروان بن الحكم عامله بالمدينة، فلما اقتلعه كثر لغط الناس فخشى الفتنة وزاد فيه درجاً ورده، وقال: إنما اقتلعته لأزيد فيه، فبقى في مكانه حتى احترق باحتراق المسجد سنة ٦٥٤، فالمراد أن بني العباس ورثوه وهو في مكانه لا لأنه نقل إليهم بالعراق كغيره من الآثار التي نقلت إليهم، وقد كان لاحتراق هذا الأثر النبوي وقع أليم في نفوس المسلمين ولاسيما عند ساكني المدينة وزائرتها لما فاتهم من لمس رمانته التي كان عليه السلام يضع يده المباركة عليها ولمس موضع قدميه الشريفتين.

وأما السرير: فلم يكن له عليه السلام سرير كالذي للملوك يجلس عليه للحكم فيكون من بعده للخلفاء، وإنما كان له سرير ينام عليه قوائمه من ساج بعث به إليه أسعد بن زراره وفي سيرة ابن سيد الناس أن الناس من بعده كانوا يحملون عليه موتاهم تبركاً به. وقال البرهان الحلبي في حاشيته على هذه السيرة^١: « قوله وكان له سرير ينام عليه، قال السهيلي في أول النصف الثاني من روضه^٢: وكان سريره عليه السلام خشبات مشدودة بالليف بيعدت في زمنبني أمية فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم. قال ابن قتيبة. أ.هـ. فيحتمل أن السرير المذكور هنا غير ما ذكره المؤلف، وذلك لأن المؤلف قال فيه هنا: فكان الناس يحملون عليه موتاهم تبركاً. ويحتمل أنه هو، وهو الظاهر، والله

أعلم». ا.هـ. قلت: وهو منقطع الخبر بعد ذلك في التاريخ، ولم أقف فيه على غير ما ذكرت، فليحقق أمره.

وأما الخاتم: فإن الذي كان يلبسه ﷺ ويختتم به كتبه إلى الملوك ونقش عليه (محمد رسول الله) كان من بعده عند الصديق ثم عند الفاروق (رضي الله عنهما)، فلما كانت خلافة ذي النورين عثمان (رضي الله عنه) سقط من يده في بئر أريض بالمدينة والتمسوه فلم يجدوه فاغتم لذك شديداً وتطير منه واتخذ له خاتماً على مثاله نقش عليه «محمد رسول الله» فكان يختتم أو يختم به، ثم اتخذ الخلفاء من بعده خواتيم لكل خاتم نقش يخصه إلى انقراض الخلافة من بغداد على ما أجمع عليه المؤرخون غير أن الحكي في كتب السيرة من اختلاف الروايات في صفة الخاتم حمل ابن سيد الناس على أن يقول في سيرته باحتمال أن تكون خواتم متعددة. قلت: وعلى هذا فيحتمل أن يكون أحدها وصل إلى بنى العباس فحفظوه تبركاً به وتشرقاً، وإن كان لكل خليفة منهم خاتم يختتم به، عليه نقش يخصه.

وأما العمامة: فهي المسماة بالسحاب، وكان ﷺ وهبها لعلي عليه السلام، ثم صارت بعد ذلك لبني العباس، وصرح باسمها البحري في قوله في المهتدى بالله:

بأخلاقه أو داخل في عدادها على سنن من قصتها وسدادها كفي لها محظى إرث اسودادها	غدا المهتدى بالله والغيث ملحق إمام إذا أمضى الأمور تتبعات متى يتعمم بالسحاب تلت على
--	---

قال أبو العلاء المعري في عبث الوليد عن هذا البيت: «المعنى أن بنى العباس كان عندهم برد النبي وعمامته وأصحاب الأخبار يرون أن النبي ﷺ كان يسمى عمamته السحاب، وكذلك رروا أسماء للألة التي كان يستعملها، فزعموا أن مقصه كان يسمى «الجامع» وقضيباً كان له يأخذه في يده: المشوق، وكان له قدر من خشب يسمى النسعة^٣ فيما ذكروا، ونحو هذه الأشياء». ا.هـ.

واما السيف: فالمراد به ذو الفقار^٤ وهو سيف كان لل العاص ابن منبه السهمي الذي قتل كافراً يوم بدر، فغنمته النبي ﷺ وكان لا يفارقه في حرب من حروبها، وسمى بذلك لحوزز مثل فقرات الظهر كانت في وسطه، وكانت قائمته وقبعته وحلقته وعلاقته من فضة، وملخص ما ذكره ابن خلكان وابن الأثير عن وصوله إلى بنى العباس أن

النبي ﷺ كان وهبه لعلي عليه السلام ثم صار لبنيه، وكان مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه لما خرج بالدينة على أبي جعفر المنصور، فلما رمي بسهم في قتاله مع جند المنصور وأيقن بالموت أعطاه لرجل من التجار كان له عليه أربعين دينار، وقال: خذه فإنك لا تلقى أحداً من آل أبي طالب إلا أخذه وأعطيك حقك، فلما ولي جعفر بن سليمان العباسي على المدينة اشتراه منه بأربعين دينار، ثم أخذه منه المهدي، ثم صار من بعده للهادي ثم للرشيد، ورأه الأصمسي وهو متقلد به بطورس فقال: يا أصمسي ألا أريك ذا الفقار؟ قال: فقلت بلى، جعلني الله فداك. قال: فاستل سيفي هذا. فاستلتله فرأيت فيه ثمانين عشرة فقارة، وبيروي أن الرشيد أعطاه ليزيد بن مزيد لما خرج لقتال الوليد بن طريف. أ.هـ. وإذا صح هذا فلا ريب في أن الخلفاء استردوه منه أو من ورثته؛ لأنه كان بعد ذلك عند المعز بن الم توكل وذكره البحري في قوله من قصيدة يمدحه بها:

وقد ترك العباس عندك وابنه على فتن مرمى النجم حيث تحيرا
هما ورثاك ذا الفقار وصيرا إليك القضيب والرداء المحبرا

ثم صار من بعده للمهدي بالله وفيه يقول البحري أيضاً من قصيدة:

وإن يتقلد ذا الفقار يضف إلى شجاع قريش في الولي وجودها

وفي خبر آخر رواه المقريزي في خططه أن ذا الفقار وصعصامة^٠ عمرو بن معدى كربالى وسيف الإمام الحسين عليه السلام ودرقة حمزة بن عبد المطلب وسيف جعفر الصادق (رضي الله عنهما) وسيوفاً أخرى لبعض الخلفاء الفاطميين كانت بخزانة السلاح الفاطمية بمصر، ثم نهبت وقسمت على الأمراء الذين ثاروا على المستنصر الفاطمي كبني حمدان وشاور وغيرهم. أ.هـ. فإن صح أن ذا الفقار كان منها كما ذكر فيحتمل أن يكون وصل إلى الفاطميين بالشراء من بعض تجار العراق بعدر من المهدي، كما يحتمل أن يكون عاد إلى العباسيين بعد نهب خزانة السلاح الفاطمية. والله سبحانه وتعالى أعلم.

هوامش

- (١) اسمها عيون الأثر في فنون المغازي والسير للحافظ محمد بن محمد اليعمري الشهير بابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤، وهي من أجود ما كتب في السيرة النبوية، واختصرها مؤلفها في جزء صغير سماه نور العيون في سيرة الأمين المأمون، وعلى الأصل حاشية اسمها النبراس على سيرة ابن سيد الناس للحافظ برهان الدين إبراهيم الحلبي الشهير بالبرهان الحلبي وببسط ابن العجمي المتوفى سنة ٨٤١.
- (٢) هو الروض الأنف للإمام العلامة عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ وهو شرح على السيرة النبوية لابن هشام، وقد طبع بمصر سنة ١٢٣٢ في جزعين.
- (٣) عبارة الحافظ مغلطاي في سيرته: «وَقَعْبَ يُسَمِّي النَّسْعَةُ».
- (٤) بفتح أوله وكسره.
- (٥) المصصامة بكسر فسكون ويقال: المصصام أَيْضًا بلا تاء في آخره، سيف قاطع مشهور له أخبار يطول ذكرها وكان لعمرو بن معدى كرب الزبيدي، وذكره بعض أصحاب السير فيما صار إلى النبي ﷺ من السيف، والأكثرون على أن عمرًا أهداه إلى خالد بن سعيد بن العاص ثم وصل بعد ذلك إلى المهدى العباسى ثم صار لابنه الهادى ثم للرشيد، وفي الكامل لابن الأثير ما يدل على بقائه عندهم إلى زمن الواشق، وفي أخبار المتوكل أنه كان عنده فدفعه إلى باخر التركى فقتله باخر به لما غدر به الأتراك. قال ابن نباتة في سرح العيون: ومن عند باخر انقطع خبره. قلت: ثم انتقل بعد ذلك إلى الفاطميين بمصر حتى نهيت خزانة سلاحهم على ما ذكره المقرizi إن صح أنه كان بهذه الخزانة.

الآثار النبوية في مصر

بمصر آثار نبوية مشهورة محفوظة في حجرة خاصة بالمسجد الحسيني بالقاهرة تقصد بالزيارة في أيام معلومة، ولهذه الآثار الشريفة أخبار تتسلسل في التواريخ، وتنتقل بالباحث من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان، حتى تصل به إلى مستقرها المحفوظة به الآن، وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بنى إبراهيم ينبع، واستفاض أنها بقيت موروثة عندهم من الواحد إلى الواحد إلى رسول الله ﷺ، ثم اشتراها في القرن السابع أحد بنى حنا¹ الوزراء الأمثل ونقلها إلى مصر وبنى لها رباطاً على النيل عرف برباط الآثار، وهو المعروف الآن بجامع أثر النبي، وفي هذا الرباط يقول المقرizi في خططه ما نصه:

رباط الآثار: هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبسطاني المعروف بالمشوق، قال ابن المتروج: هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين علي ابن حنا بجوار بستان المشوق، ومات رحمة الله قبل تكملته، ووصى أن يكمل من ربع بستان المشوق فإذا كملت عمارته يوقف عليه، ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمر فيه شيئاً يسيراً وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى، وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين في تكملته فعمر فيه شيئاً جيداً. انتهى. وإنما قيل له رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إن ذلك من آثار رسول الله ﷺ اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع، وذكروا أنها لم تزل عندهم موروثة من واحد إلى آخر إلى رسول الله ﷺ وحملها إلى هذا الرباط وهي به إلى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها، وأدركنا

لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكنه عدة منافع ممن يتزدّد إليه أيام كان ماء النيل تحته دائماً، فلما انحسر الماء من تجاهه^٢ وحدث المحن من سنة ست وثمانيني مائة قل تردد الناس إليه وفيه إلى اليوم بقية، ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد قلاوون قرر فيه درساً للفقهاء الشافعية وجعل له مدرساً وعنه عدة من الطلبة ولهم جار في كل شهر من وقف وقفه عليهم وهو باق أيضاً، وفي أيام الظاهر برقوم وقف قطعة أرض عمل الجسر المتصل بالرباط، وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله». ١.هـ.

وقد رأينا قبل التعرض لما ذكره غيره من الرباط والآثار أن نأتي على ما لابد منه في هذا البحث من التعريف ببنيه فنقول:

التعريف ببني الرباط

هو سليل بيت الوزارة والسؤدد والوجاهة والعلم الوزير الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب فخر الدين محمد ابن الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا، ولد سنة ٦٤٠ وسمع من سبط السلفي وحدث وكان له شعر جيد وانتهت إليه رئاسة عصره وكان صاحب صيانة وسؤدد ومكارم وشاكلة حسنة وبزة فاخرة وتناه في المطعم والملابس والمسكن، ونال في الدنيا من العز والجاه ما لم ينله جده الصاحب الكبير بهاء الدين بحيث إنه لما تقلد الصاحب فخر الدين ابن الخليلي الوزارة سار من القلعة وعليه التشريف إلى داره وقبل يده وجلس بين يديه ثم انصرف إلى داره، وما زال الصاحب تاج الدين على هذا القدر من العز إلى أن تقلد الوزارة سنة ٦٩٣ فلم ينجو وتوقفت الأحوال في أيامه فصرف سنة ٦٩٤ وأعيد إلى الوزارة مرة ثانية فلم ينجح فعزل، وكانت وفاته سنة ٧٠٧ ودفن في مقابربني حنا بالقرافة. (وولد والده) الصاحب فخر الدين محمد بن بهاء الدين علي سنة ٦٢٢ وناب عن والده في الوزارة وولي ديوان الأحباش وزارة الصحابة في أيام الظاهر بيبرس، وسمع الحديث بالقاهرة وكان له شعر جيد ودرس بمدرسة والده المسماة بالصحابية البهائية التي كانت بمصر القديمة إلى أن توفي في حياة والده سنة ٦٦٨ فدرس بها بعده ولده، وتوارث بنو حنا ولاية نظرها وتدریسها إلى أن عطلت وخررت ثم هدمها بعد ذلك الأمير تاج الدين الشوبكي وإلي القاهرة ومصر

سنة ٨١٨، ولما دُلِيَ الصاحب فخر الدين في لحده قام الإمام محمد بن سعيد البوصيري ناظم البردة وأنشد في الجمع المحتشد بمقبرة بنى حنا:

بجميل قدمت بين يديكما غلبتنا يد المنون عليكما أحسن الله في الممات إليكما	نم هنيئاً محمد بن علي لم تزل عوننا على الدهر حتى أنت أحسنت في الحياة إلينا
--	--

فبكى الناس. وكان لها محل كبير من حضر.

(وأما جده) فهو الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد ولد بمصر سنة ٦٠٣ وتقلبت به الأحوال في كتابة الدواوين إلى أن ولي المناصب الجليلة واشتهرت كفافيته فاستوزره السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري سنة ٦٥٩ وفوض إليه تدبير المملكة فقام بأعبائها وتصرف في أمورها بحزم وعزم وعفة عن الأموال، حتى إنه لم يكن يقبل من أحد هدية إلا أن تكون هدية فقير أو شيخ معتقد يتبرك بما يصل من أثره، وكان يستعين على ما التزم به من المברات بالمتاجر، ولما مات الظاهر بيبرس أقره ولده الملك السعيد بركة على ما كان عليه مدة والده، وكانت وفاته سنة ٦٧٧ قال المقرizi: وزرئ بفقد ولديه الصاحب فخر الدين والصاحب زين الدين فعوضه الله عنهم بأولادهما، فما منهم إلا نجيب رئيس فاضل مذكور.

عود إلى الرباط والآثار

تقديم في عبارة المقرizi تسميه برباط الآثار وهو اسمه المشهور الذي رأيناها مذكورةً به في كل ما وقفنا عليه من كتب التاريخ، وسماه ابن دقاق في كتابه الانتصار لواسطة عقد الأمصار بالرباط الصاحبي التاجي نسبة إلى بانيه الصاحب تاج الدين ونقل عبارة ابن المتوج التي نقلها المقرizi عنه ثم بين ما به من الآثار بقوله: «قلت: وهو مسجد الآثار الشريفة اشتراها الصاحب تاج الدين من الشرييف (...)^٣ بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها في خزانة في هذا الرباط وهي قطعة من العنزة^٤ وقطعة من القصعة ومرود وملقط ومحض ووقف على هذا المكان بستان المشوق». ثم قال بعد ما ذكر ما وقفه الأشرف شعبان على هذا الرباط: «قلت: ذكرت مرة مسجد الآثار عند الشيخ الإمام العالم برهان الدين إبراهيم بن زقاعة الغزي^٥ في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة فقال

لي: إني استنبطت من القرآن آية في حق الآثار وهي قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وقرئت آثار^١ فأثر رحمة الله هو المطر ومدد النيل منه والمكان مطل على النيل وأثار رحمة الله هي آثار النبي ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ولا يجتمع الأثر والآثار في سائر الدنيا إلا بمصر خاصة، فهذا أعظم فخر لها».

واستطرد ابن كثير في البداية والنهاية لذكر بعض هذه الآثار في كلامه عما ورد في المكحلة النبوية فقال: «وبلغني أن بالديار المصرية مزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبي ﷺ اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين فمن ذلك مكحلة وميل ومشط وغير ذلك، والله أعلم».

وذكر القلقشندی في صبح الأعشی الرباط والآثار في كلامه على الرابط التي بالفسطاط بعبارة مختصرة قال فيها: «وأما الخوانق^٢ والرابط فلم تعهد بالفسطاط، غير أن الصاحب بهاء الدين بن حنـا عمر رباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبلي الفسطاط واشتري الآثار الشريفة، وهي ميل من نحاس وملقط من حديد وقطعة من العنزة وقطعة من القصعة بجملة مال وأتبثها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة». ا.هـ. وقد وهم في قوله بهاء الدين؛ لأن باني الرباط ومشتري الآثار حفيده تاج الدين كما قدمنا وهو ما أجمع عليه المؤرخون. والظاهر أن الذي أوقعه في ذلك ما اشتهر من نسبة الرباط إلى أحد بنـي حنـا، فذهب ظنه وقت كتابة هذه الجملة إلى أكبرهم وأولهم في الشهرة وهو بهاء الدين سهـوا منه، وجل من لا يسهو، وقلده في هذا الوهم ابن إيسـاس^٣ بقوله في حوار ثولي الظاهري بيبرس على مصر سنة ٦٥٨ ما نصه: « واستقر بالصاحب بهاء الدين بن حنـا وزيراً بالديار المصرية. أقول: والصاحب بهاء الدين بن حنـا هذا هو الذي بنـي مكان الآثار النبوية المطل على بحر النيل واشتري الآثار الشريفة بجملة كبيرة من المال وأودعها في ذلك المكان الذي أنشأه على بحر النيل وصارت الناس يقصدون ذلك المكان بسبب الزيارة في كل يوم أربعاء» ا.هـ. غير أنه أفادنا أن زيارة هذه الآثار كانت في تلك العصور كل يوم أربعاء.

وذكره البرهان الحلبـي في حاشيته المسماة نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس، فقال: «وفي آخر مصر مكان على النيل مبني محكم البنـيان ولـه طاقات مطلة على النيل ومكان ينزل إليه وبركة من ماء النيل ومحـورة بماء النيل، وفيه خزانة من خشب وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر وداخل الخزانة علبة صغيرة من جوز فيها من الآثار الشريفة قطعة من قصعة وقطعة من العنزة وميل من نحاس أصفر ومخصف صغير

وملقط صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها، وقد زرناه غير مرة، وهو مكان مليح في غاية النزاهة وما بعده إلا بساتين، وقد زرناه مرة فرأني الإمام جلال الدين ابن خطيب داريا الدمشقي بسوق كتب القاهرة، فسألني: أين كنت؟ قلت: زرنا الآثار وكان معنا بعض الأدباء. فقال: هل نظم أحد في ذلك شيئاً؟ فقلت: لا. فقال: أنا زرته من أيام وكتب فيه بيتين، فأنشدنا ذلك، وهما:

يا عين إن بعد الحبيب وداره
فلك الهنا فلقد ظفرت بطائل
ونأت مرابعه وشط مزاره
إن لم تريه فهذه آثاره

عنها انتهى كلام البرهان الحلبي ونقلناه من حاشيته المذكورة، وقد نقله أيضًا العلامة المقرى في فتح المتعال باختلاف يسير في بعض الألفاظ.
ولما وصل ابن بطوطة الرحالة الشهير إلى مصر في أوائل القرن الثامن وأراد الخروج من القاهرة إلى الصعيد للحج مر بهذا الرباط ونزل به ليلة ووصفه في رحلته بقوله: «ثم كان سفري من مصر عن طريق الصعيد برسم الحجاز الشريف، فبئت ليلة خروجي بالرباط الذي بناه الصاحب تاج الدين بن حنّا بدير الطين^٩ وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وأثار كريمة أودعها فيه وهي قطعة من قصة رسول الله ﷺ والميل الذي كان يكتحل به والدرفش^{١٠} وهو الإشفي الذي كان يخص به نعله، ومصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي بخط يده (رضي الله عنه)، ويقال: إن الصاحب اشتري ما ذكرناه من الآثار الكريمة النبوية بمائة ألف درهم، وبنى الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجرaya لخدم تلك الآثار الشريفة. نفعه الله تعالى بقصده المبارك» ا.هـ.

فائدة

إنما خرج ابن بطوطة إلى الصعيد لأنه أراد أن يسلك في حجّ طريق صحراء عيذاب،
كما سلكها قبله ابن جبير في القرن السادس، فلم يتيسر له الحج منها كما تيسر لابن
جبير لفتنة كانت قائمة بعيذاب منعه من ركوب البحر منها إلى جدة، فعاد أدراجه
إلى القاهرة، وقد أقام حجاج مصر والمغرب زيادة عن مائتي سنة يسافرون إلى الحجاز
من هذه الطريق فكانوا يركبون السفن في النيل من ساحل الفسطاط إلى قوص، ثم

يعبرون هذه الصحراء على الإبل إلى عيناب (بكسر العين المهملة أو فتحها) وهي بلدة على بحر القلزم المسمى الآن بالبحر الأحمر، ثم يرکبون منها إلى جدة سفناً تسمى الجلاب وواحدتها جلبة، وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة كانوا يردون مصر بمتجارهم من هذه الطريق، ولم تزل مسلكاً للحجاج في ذهابهم وإيابهم من سنة بضع وخمسين وأربعين إلى سنة بضع وستين وستمائة، وذلك منذ الشدة العظيمة زمن المستنصر الفاطمي وانقطاع الحج في البر إلى أن كسا الظاهر بيبرس الكعبة وأخرج قافلة الحاج في البر من الطريق القديمة المس lokah إلى أيلة وغيرها، فقل سلوك الحجاج لهذه الصحراء واستمرت التجار تحمل فيها حتى بطل ذلك بعد سنة ٧٦٠، وكان أمر هذه الجلاب غريباً لأن الواحها لم تكن تضم بالمسامير كما في سائر السفن، بل كانت تخطاط بأمراس تقتل من قشر جوز الهند المسمى بالترجيل وتعلّم لها قلوع من حصر منسوجة من خوص شجر المقل وهو الدوم، وقد فصلنا الكلام عليها في رسالة لنا في السفن الإسلامية وأسمائها، أعنانا الله على إتمامها.

عود إلى رباط الآثار

وذكره السيوطني في حسن المحاضرة بما نصه: «رباط الآثار بالقرب من بركة الحبس عمره الصاحب تاج الدين ابن الصاحب فخر الدين ابن الصاحب بهاء الدين ابن حنّا وفيه قطعة خشب وحديد وأشياء آخر من آثار رسول الله ﷺ اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع، ذكروا أنها لم تزل موروثة عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول الله ﷺ، وحملها إلى هذا الرباط، وهي به إلى اليوم يتبرك بها». انتهى.

ولم يزل هذا الرباط عامراً مأهولاً بالمصلين والزوار، حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال، فنُقلت منه الآثار الشريفة خوفاً عليها من السرقة، وتغيرت معالمه بتجديد بنائه، والذي وقفنا عليه من ذلك، تجديده زمن إبراهيم باشا الدفتدار المتولي على مصر سنة ١٠٧١، كما في تراجم الصواعق في واقعة الصناجق^{١١} ففيه أنه لما عزل وأنزلوه من القلعة صلى الجمعة يوم ١٢ شوال سنة ١٠٧٣ في مسجد أثر النبي الذي بمصر القديمة، وكان وسعه وجده وبني تحته رصيحاً لدفع ماء النيل عن بنائه، ورتب له مائة عثماني، وأُرْصد له طيناً، وعین به قراء ووظائف وحراساً قاطنين به وشرط النظر لمن يلي أغواية اليكيرية بمصر. وذكر الجبرتي في حوادث رجب من سنة ١٢٢٤ ما نصه: «وفيه تقيد

الخواجة محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذي يعرف بالآثار النبوية، فعمرها على وضعها القديم، وقد كان آل إلى الخراب» ا.هـ. قلت: والراجح أنه البناء الباقى إلى اليوم، ولم يزل هذا المسجد مقام الشعائر والصلوات مقصوداً بالزيارة على قلة، لحجر فيه يزعمون أن عليه أثر قدمه عليه السلام، وليس ب صحيح، وسيأتي كلامنا عليه وعلى ما يماثله من الأحجار في تتمة ملحقة بهذا الفصل، وأما القصر الذي ذكره الجبرتى فقد زال، وبجوار المسجد الآن بعض أطلال مائة لعلها من بقاياه.

نقل الآثار الشريفة إلى قبة الغوري

تولى السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري على المملكة المصرية سنة ٩٠٦ وقتل بمرج دابق شمالي حلب في قتاله مع السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٢، وهو الذي بنى المدرسة المعروفة الآن بجامع الغوري عن يمين السالك بشارع الغورية إلى باب زويلة، وبنى أمامها عن يسار السالك القبة المنسوبة إليه ليدفن بها فلم يقدر له ذلك، وفقدت جثته تحت سنابك الخيل فدفن في الحظيرة المكشوفة لهذه القبة قريبه السلطان الأشرف طومان باي آخر ملوك الجراكسة بمصر الذي تولى بعده وقتلته السلطان سليم سنة ٩٢٣، ودفن بها أيضاً على ما في ابن إيس خوندخان تكن مستولدة السلطان الغوري المتوفاة سنة ٩٢٢ مع أولادها، ونقل علي مبارك باشا في خططه عن النزهة السننية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية لحسن بن حسين المعروف بابن الطولوني، أن السلطان الغوري بنى هذه القبة للآثار النبوية وللمصحف العثماني الذي أضافه إليها، ونص عبارته:

وقد جدد مولانا السلطان عز نصره للمصحف العثماني الذي بمصر المحروسة بخط مشهد الحسين (رضي الله عنه) جلداً بعد أن آل جلده الواقي له إلى التلف والعدم ولكلثه من زمن سيدنا عثمان إلى يومنا هذا، فأللهم الله تعالى مولانا المقام الشريف خلد الله ملكه بطلبه إلى حضرته بالقلعة الشريفة، ورسم بعمل هذا الجلد العظيم المتناهي في عمله لاكتساب أجره وثوابه؛ وأن يعمل له وقاية من الخشب المنقوش بالذهب والفضة وأنواع التحسين، وبرز أمره الشريف بعمارة قبة معظمة تجاه المدرسة الشريفة التي أنشأها بخط الشرابيسيين بين سوق الجملون وسوق الخشيبة^{١٢} بمبادرة الجناب العالى الأمير تانى بك الخازنadar وناظر الحسبة الشريفة وما معها، وأن تكون القبة المعظمة المأمور

بعملها إن شاء الله تعالى مناظرة في الحُسْن والإتقان لما سبق، كما رتبها بنظره الشريف ليكون فيها ما خصّها الله تعالى به من تعظيمها بالصحف الشريف العثماني والآثار الشريفة النبوية وغير ذلك من مصاحف وربعات. ا.هـ.

قلت: المصحف المذكور المنسوب لذى النورين عثمان (رضي الله عنه) هو الذي كان بمدرسة القاضي الفاضل التي كانت بدرب ملوخية^{١٢} المعروفة الآن بدرب القザزين قرب المشهد الحسيني، وقد زالت هذه المدرسة وعفا أثرها، وكانت بها خزانة كتب عديمة النظير تجمع على ما قيل مائة ألف مجلد، ذكر المقرizi أنها تفرقت ولم يبق منها غير هذا المصحف الذي تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان، وقد استطرد العلامة القسطلاني في المناقب التي ألفها للإمام الشاطبي ناظم الشاطبية لذكر هذا المصحف في كلامه على تولي هذا الإمام الإقراء بهذه المدرسة، فنقل عبارة المقرizi في وصفه، ثم ذكر نقله إلى قبة الغوري مع الآثار النبوية، بعد أن ذكر تشتت كتب هذه الخزانة، فقال: «ولم يبق منها إلا المصحف الكبير المكتوب بالخط الأول الكوفي المعروف بمصحف عثمان بن عفان، ويقال: إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار، على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وكان في خزانة مفردة بجانب المحراب من غربيه، وعليه جلالة ومهابة، ولم يزل بها حتى خرب ما حول المدرسة المذكورة، وأآل أمرها إلى التلاشي، فنقله السلطان الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري أجرى الله تعالى على يده الخيرات، وختم أعماله بالصالحات، كما نقل الآثار النبوية لاستيلاء السراق على القاطنين بمحلها، وعدم الأمان وخوف الضياع، إلى القبة التي أنشأها تجاه مدرسته الشريفة بقرب الأقباعيين^{١٤} داخل باب زويلة والخرق^{١٥} من القاهرة المعزية». انتهى.

أما كون هذه الآثار التي ذكر ابن الطولوني والقسطلاني نقلها إلى القبة هي عين الآثار التي كانت بالرباط، فقد صرّح به الشيخ شمس الدين محمد بن أبي السرور البكري في الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة، فقال في الباب الذي عقده لتعداد ما اختصت به مصر وأهلها من الفضائل ما نصه: «الحادي عشر اختصاصهم بوضع الآثار الشريفة النبوية بأرضهم وببلادهم، وهي قطعة من العزّة ومرود ومخصف وقطعة من القصعة، وضم إليها أشياء من آثار الأولياء. قيل: إن الصاحب تاج الدين بن حننا اشتري هذه الآثار الشريفة بستين ألف درهم، وجعلها في مكان المعشوق بالروضة^{١٦} على شاطئ النيل معروفة، وقد نقل ذلك السلطان الغوري إلى مدفنه بالقاهرة. والله أعلم».

فيعلم من هذا أن الآثار الشريفة نقلت من رباطها إلى هذه القبة في أيام الغوري أي في أوائل القرن العاشر، غير أنها لم نقف فيما بأيدينا من النصوص على تعين السنة التي نقلت فيها، ويغلب على الظن أنها مذكورة في المدة الضائعة من تاريخ ابن إياس المطبوع بمصر، وهي من أثناء سنة ٩٠٦، إلى آخر سنة ٩٢١، أما قول ابن إياس في حوادث جمادى الثانية من سنة ٩٢٣، عن السلطان سليم: «وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه نزل في مركب وتوجه نحو الآثار الشريفة، فقام عليه ريح عاصف فانقلب به المركب في البحر فكاد أن يغرق وأغمي عليه وما بقي من موته شيء، وقيل: إنه كان سكران لا يعي، فكان في أجله فسحة حتى عاش إلى اليوم». فلا يؤخذ منه أن الآثار كانت باقية بالرباط إلى هذا العهد، بعد ما ثبت نقلها قبل ذلك زمن الغوري، وإنما مراده أنه ذهب للتنزه إلى الجهة المعروفة بذلك؛ لأن المسجد بقي معروضاً بالآثار بعد نقلها منه.

نقلها إلى المسجد الحسيني

ظلت هذه الآثار الشريفة محفوظة بقبة الغوري مدة ثلاثة قرون ونيف إلى سنة ١٢٧٥هـ ولا تخلي التواريخ من ذكرها في هذه المرة خلال الحوادث، فمما وقفتنا عليه من ذلك قول ابن إياس في حوادث سنة ٩٢٦، حينما توقف النيل عن الوفاء في ولاية ملك الأمراء خير بك على مصر.

«فلما كان يوم الأحد سادس رمضان نزل ملك الأمراء وتوجه إلى المقاييس وكان قد مضى من مسرى ستة وعشرون يوماً، فأقام ملك الأمراء في المقاييس ذلك اليوم، وفرقوا أجزاء الربعة على الحاضرين من الفقهاء، فقرعوا فيها عشرين دوراً، ثم قرعوا صريح البخاري هناك، وأشيع أن ملك الأمراء فرق هناك على الفقهاء ما لا له صورة وأحضر الأطفال الأيتام وفرق عليهم مبلغاً له صورة وأحضر من الآثار الشريفة القيمة من المدرسة الغورية^{١٧} ووضعه في فسقية المقاييس وغسلوه في الماء الذي بها، وكثير هناك الضجيج والبكاء والتضرع إلى الله تعالى بالزيادة».

وذكر الجبرتي في حوادث ربيع الأول من سنة ١٢٠٣ ما نصه: «وفي عاشره أخبر بعض الناس قاضي العسكر أن بمدفن السلطان الغوري بداخل خزانة في القبة آثار النبي ﷺ، وهي قطعة من قميصه وقطعة عصا وميل، فأحضر مباشر الوقف وطلب منه إحضار تلك الآثار وعمل لها صندوقاً ووضعها في داخل بقة وضمّحها بالطيب ووضعها على كرسي ورفعها على رأس الأتباع وركب القاضي والنائب وصاحبته

بعض المتعمدين مشاة بين يديه يجرون بالصلوة على النبي ﷺ حتى وصلوا بها إلى المدفن ووضعوها في داخل الصندوق ورفعوها في مكانها بالخزانة».

ثم رئي نقلها من هذه القبة فنقلت منها سنة ١٢٧٥ هـ ذكر عصرينا الفاضل السيد محمود البلاوي شيخ المسجد الحسيني والمتولي الآن شيئاً على المسجد الزيينبي في (التاريخ الحسيني) أنه سمع من شيخ ثقات كبراء أنها نقلت من القبة إلى المسجد الزيينبي، ثم نقلت بموكب حافل إلى خزانة الأمتعة بالقلعة، ثم نقلت منها سنة ١٣٠٤ هـ إلى ديوان الأوقاف، وفي سنة ١٣٠٥ هـ نقلت إلى قصر عابدين مقر الخديو، ومنه نقلت في السنة المذكورة إلى المسجد الحسيني.

ولما عزم الخديو محمد توفيق باشا على نقلها تلك السنة أمر أن تتخذ لها خزانة بالحافظ الشرقي في المسجد الحسيني، ثم استجلبها من ديوان الأوقاف إلى قصر عابدين، وأمر أن تحفظ في شقق من الدبياج الأخضر مطرزة بسلوك الفضة المذهبة، قيل: إن زوجته الأميرة المعظمة أمينة بنت الأمير إلهامي باشا ابن والي مصر عباس باشا الكبير، تولت تطريزها بيدها تعظيمًا وإجلالًا لتلك الآثار، ثم احتفل بنقلها من القصر إلى المسجد يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الثانية من السنة المذكورة في موكب فخم لم تشهد مصر مثله، مشى فيه نحو ثلاثين ألف نسمة على أقدامهم، واحتشد لرؤيته على جانبي الطريق نحو مائتي ألف وكان الخديو دعا في ذلك اليوم العلماء والأعيان إلى القصر للمسير في الموكب، وأمر أن يسير فيه جميع مستخدمي الدواوين، وكانت الآثار الشريفة ملفوفة في خمس شقق من الدبياج مرفوعة على أسرة في بهو الاستقبال الكبير وحولها مجامر البخور، فلما تم تواجد المدعويين استدعى الخديو إلى مجلسه قاضي مصر والشيخ الأكبر محمدًا الأنبا بيشيت الأزهر والشيخ محمدًا البناء الفتى ومن كبار العلماء الشيخ محمدًا المهدى العباسي، وكان وقتئذ معزولاً عن الأزهر والإفتاء، ومن أبناء البيوت القديمة السيد عبد الباقى البكري نقيب الأشراف وشيخ الصوفية، والسيد عبد الخالق السادات سليم بنى وفا، ثم حمل الخديو على يديه إحدى هذه الودائع الكريمة، وأشار إلى أخيه الأمير حسين كامل باشا، والغازي أحمد مختار باشا المندوب السلطاني العالى، ومحمد ثابت باشا رئيس الديوان الخديوى، ومحمد رعوف باشا ناظر الأوقاف، بحمل الأربع الباقيه، فحملوها وخرجوا جميعاً إلى سلم القصر المشرف على ميدان عابدين، فتقدّم السيد عبد الباقى البكري وتسلم الوديعة التي يحملها الخديو وانتظم مع الحاملين لبقية الآثار، وكان خروج الموكب من القصر في ضحى ذلك اليوم، ووصل إلى المسجد الحسيني

بالسير الرويد في ثلاثة ساعات، وكان مسيره من عابدين في شارع عبد العزيز إلى ميدان العتبة الخضراء فشارع محمد علي إلى ميدان باب الخلق فشارع تحت الربع إلى باب زويلة فشارع السكرية فالعقادين فالغورية فالسكة الجديدة إلى أن وصل إلى المسجد الحسيني، وكان في طليعته خمسة من فرسان الشرطة يتلوهم جميع أرباب الأشائر الذين بالقاهرة حاملين أعلامهم، ثم كوكبة من فرسان الجيش فكتيبة من مشاته فالأخيارات والوجوه فالعلماء وطلبة العلم فعشرون وصيفاً يحملون مجامر البخور وقماقم العطر، ومن بعدهم حملة الآثار في صف، يتوسطهم السيد البكري، وعن يمينه ويساره الغازي مختار باشا وكان لابساً حلته العسكرية، والأمير حسين باشا آخر الخديو، وفي الطرفين محمد ثابت باشا ورعوف باشا، ثم يتلوهم الوزراء — وكان يقال لهم في ذلك الحين: النظار — ثم مستخدمو الدواوين فشذمة من رجال الشرطة، ولما وصلوا بالآثار إلى المسجد أودعواها في خزانتها وأودعوا معها المصحف العثماني، وتسلم مفاتيحها ناظر الأوقاف، ثم تلية آيات من الكتاب العزيز، ووقف الشيخ سليم عمر القلعاوي شيخ مسجد القلعة فخطب خطبة نوح فيها بالآثار ودعا للسلطان وللخديو.

ثم لما تولى على مصر الخديو عباس حلمي باشا سنة ١٣٠٩هـ، رأى أن ينشئ الآثار حجرة خاصة فتم إنشاؤها سنة ١٣١١هـ وراء الحاجط الشرقي للمسجد الحسيني والجاجط الجنوبي لقبة المشهد، وجعل لها بابان واحد إلى المسجد واحد إلى القبة، وجعلت خزانة الآثار بحائطها الجنوبي، وهي باقية فيها إلى اليوم تقصد بالزيارة في أيام معلومة.

عدد هذه الآثار وصفتها

نرى فيما سردناه من الروايات اختلافاً في عدد هذه الآثار بالإضافة والنقصان، وسبب ذلك أن من الرواين من لم يرها، فذكر ما نقل له عنها بالسماع، ومنهم من تساهل في استقصاء عددها واكتفى بذكر بعضها، ولقد أحسن من احتاط منهم فأعقب عبارته بقوله: (وغير ذلك) والذي يتحصل من مجموع هذه الروايات أنها كانت قطعة من العنزة، أي: الحربة، وقطعة من القصعة، ومرود، وعبر عنه بعضهم بالليل، وقال بعضهم من نحاس وبعضهم من نحاس أصفر، وملقط، وقال عنه بعضهم من حديد، وقيده بعضهم بكونه صغيراً لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها، ومخصف، وقيده بعضهم بكونه صغيراً، وعبر عنه بعضهم بالإشفي الذي كان عليه السلام يخصف به نعله، ومكحلة، ومشط، وانفرد بذكرهما ابن كثير، وقطعة عصا وانفرد بذكرها الجبرتي، وقطعة من

القميص ولم يذكرها إلا ابن إياس والجبرتي، ومن غير الآثار النبوية المصحف المنسوب لأمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم أضاف إليها السلطان الغوري المصحف العثماني الذي كان بمدرسة القاضي الفاضل وهو باقيان إلى اليوم وفي نسبتهما إليهما نظر.^{١٨} ولم يبق من الآثار النبوية اليوم إلا المكحلة والمرود والقطعة من القميص والقطعة من القضيب وهي التي عبر عنها الجبرتي بقطعة عصا، وضم إليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة^{١٩} محفوظتان في زجاجة، وقد حفظت جميعها في أربعة صناديق صغيرة من الفضة ملفوفة في قطع من الديباج الأخضر المطرز: المكحلة والمرود في صندوق، والشعرتان في صندوق، والقميص في صندوق، والقضيب في صندوق، وفقدت بقية الآثار التي كانت معها، وهي القطعة من العنزة، والقطعة من القصعة، والمصحف، والملقط، والمشط، ولا يعلم في أي زمان فقدت.

تنبيه

قال ابن إياس في حوادث المحرم من سنة ٨٨٩هـ: «وفيه توفي الشيخ ولد الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وقاضي ثغر دمياط وكان ديناً خيراً حسن السيرة لا بأس به» ا.هـ. وهي عبارة مبهمة قد يفهم منها أنها آثار نبوية أخرى بدمياط كانت في نظر قاضيها، وقد تبين لنا بعد بحث طويل استوعبنا فيه تراجم الأحمديين بالضوء اللامع للسخاوي أن المراد الآثار المعروفة التي بالقاهرة، وأن الشيخ ولد الدين المذكور كان شيئاً عليها ثم نقل قاضياً لدمياط وتوفي بها، وملخص ما جاء عنه في هذا الكتاب أنه الشيخ ولد الدين أبو زرعة أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إبراهيم البارنباري الشافعي سبط داود بن عثمان السبتي، ولد بمصر سنة ٨٢٨، واشتغل على البهاء بن القطان والشهاب بن مبارك شاه والبرهان المتبولي وغيرهم، وكتب إملاء عن الحافظ بن حجر، وسمع الحديث على جماعة منهم عمه النور علي والبدر النساء وهاجر القدسية، ونال في القضاء عن المناوي، واستقر به العز الكتани سنة ٨٧٠ شيئاً على الآثار، ثم استقر به الذين ذكرنا في قضاء دمياط بعد الصلاح بن كميل، وحمد في ذلك كله لعقله ومداراته وخبرته وسياسته مع فضيلة وتواضع، وكتب على مختصر أبي شجاع معلولاً ومختصراً، وشرع في شرح على المنهاج، ومات وهو بدمياط ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة ٨٨٩، ودفن بتربة تجاه فتح الأسمر. ا.هـ. قلنا: وقول السخاوي فتح الأسمر جرى فيه على المشهور عند العامة، والصواب أنه العارف بالله فاتح بن عثمان الأسمري التكروري القادم

من مراكش إلى دمياط، وتوفي بها سنة ٦٩٥ ترجمة المقريزي في خططه في كلامه على دمياط ترجمة حافلة بين فيها وهم العامة في اسمه وذكر له مناقب جليلة في الزهد والورع وسلوك طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

هوما مش

- (١) بنو حنا من الأسر العربية في الإسلام، واسم جدهم حنّا بكسر الحاء المهملة وفتح النون المشددة على ما ضبطه المقريزي في خططه، وكأنه منقول من اسم الحناء التي يختضب بها ثم قصرته العامة على عادتها في قصر كل ممدود، وقد يظن من لم يعرف ضبطه أنه بفتح الحاء وأنهم من الأقباط الذين أسلموا وتولوا الوزارة أو المباشرة في مصر كبني م كانس وبني الجيعان وغيرهم.
- (٢) عاد النيل إليه بعد انحساره وما زال إلى اليوم يجري بجواره، ولكن في مجرى صغير، وحدثت بين هذا المجرى وبين المجرى الكبير جزيرة.
- (٣) بياض في النسخة بمقدار كلمتين، ولا ريب في أن الساقط اسم أحد بنى إبراهيم الذي اشتري منه الصاحب هذه الآثار.
- (٤) العنزة بفتحتين الحرية القصيرة.
- (٥) هو العالم الصوفي المعترض صاحب الديوان توفي بالقاهرة سنة ٨١٦ ودفن خارج باب النصر، وكان قبره مشهوراً إلى القرن الثاني عشر، وزاره العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي وذكره في رحلته الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والجاز، فقال: إنه بالزنقة الذي على ميمنة الخارج من باب النصر في مزار عليه باب وعلى تابوته ثوب أحضر. قلت: وما زلت أبحث عنه حتى اهتديت إليه في هذا الطريق فرأيته في حالة يرثى لها من الإهمال وقد هدم المزار وزال التابوت والستر ولم يبق غير قبر حقير لاصق بالحائط لا كتابة عليه، ولو لا اعتقاد العامة فيه وقصدهم إياه بالزيارة لدرس وجهل مكانه، وزقاعة بضم الزاي وفتح القاف المشددة، وبعدها ألف وعين مهملة مفتوحة وتابة.
- (٦) قوله «وقرئت آثار» هي القراءة المشهورة التي كتب عليها العلامة الألوسي في تفسيره، ثم قال: وقرأ الحرميان وأبو عمر وأبو بكر (أثر) بالإفراد وفتح الهمزة والثاء وقرأ سلام (إثر) بكسر الهمزة وإسكان الثاء، وقال الكشاف: وقرأ أثر وآثار على الوحدة والجمع.
- (٧) الخوانق جمع خانقا، وقد يقال فيها خوانك وخانكا بالكاف وهي كلمة مولدة معربة عن الفارسية وأصلها فيها بالكاف، والمراد بها أماكن جعلت للصوفية يتخلون

فيها لعبادة الله تعالى، وكان حدوث الخوانك في الإسلام في حدود الأربعينية ويعبر الأتراء عن الخانقة بالتكية. ونقل علي مبارك باشا في كلامه على الخانقة السرياقوسية من خطبه (ج ١٠ ص ٨٧) عن حاشية ابن عابدين على الدر المختار في الفقه ما يفيد أن الخوانك هي الزوايا الخاصة بتصوفية الروم.

(٨) ووهم فيه علي مبارك باشا وهمما آخر في خطبه، فنسب بناءه للسلطان الملك الظاهر بيبرس وذلك في كلامه على القرية الملائقة له المسماة الآن (أثر النبي) ومن العجيب أنه لما تكلم عليه هنا لم يبين أنه المسجد الذي كان يسمى برباط الآثار، ولما تكلم على الرابط ذكر رباط الآثار ونقل عبارة المقريزي بنصها ولم يزد عليها شيئاً مما حدث فيه بعد ذلك، فأوهم بصنعيه هذا أنها ممكانان لا علاقة لأحدهما بالآخر، والحقيقة أنه مكان واحد تغير اسمه ومعالمه مع الزمن.

(٩) دير الطين قرية على الشاطئ الشرقي للنيل جنوب مصر القديمة وملائقة من شمالها للقرية التي بها رباط الآثار المسماة الآن بأثر النبي، ولعل هذه لم تكن حدثت زمن ابن بطوطه؛ ولهذا قال عن الرباط: إنه بدير الطين لقربه منها، وكان بدير الطين جامع قديم غير الرباط عمره أيضاً الصاحب تاج الدين ابن حنّا ووسعه بعد أن كان ضيقاً.

(١٠) الدرفشن بكسر ففتح فسكون لفظة فارسية معناها الراية عربتها العرب بالسين المهملة وقد تقال بالمعجمة كأصلها وتطلق باللغتين على العلم الكبير والعظيم من الإبل والضخم من الرجال، ولم نقف على استعمالها بمعنى الأشفي إلا في عبارة ابن بطوطة فعلها كانت مستعملة بهذا المعنى في عامية المغرب الأقصى في زمانه أو في اللغة المسماة بالشلحة (فتح فسكون) التي تتكلم بها بعض القبائل، وأهل المغرب لا يعرفون هذه اللفظة الآن وقد وردت في شعر ابن قيس الرقيات بالسين المهملة بمعنى العلم في قوله:

تكنه خرقة الدرفس من الشم س كليث يفرج الأجما

وكذلك في قول البحيري من قصيده في وصف إيوان كسرى:

فإذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتعت بين روم وفرس

والمنايا مواثل وأنوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس

(١١) هو في حوادث وقعت بمصر ولم نعلم اسم مؤلفه، وورد في مواضع منه أنه (ابن محمود). وكان (مرسيل) أحد العلماء الذين رافقوا جيش الفرنسיס الذي احتل مصر سنة ١٢١٣ عشر عليه بها فحمله إلى بلاده ثم سعينا في استنساخ هذه النسخة من هذا الأصل سنة ١٣٣٨ وحفظناها بخزانتنا.

(١٢) تصغير خشبة، ويعرف هذا السوق أيضًا بسوق البخانقيين وقيل له سوق الخشبية لخشبة جعلت على بابه تمنع الراكب من الوصول إليه كما في خطط المقرizi.

(١٣) ملوخية الذي عرف به هذا الدرك رجل كان صاحب ركاب الحاكم بأمر الله الفاطمي ويعرف بملوخية الفراش، وقد قتله الحاكم وبasher قته ولعل اسمه منقول من اسم النبات الذي يطبخ ويؤكل بمصر فيكون بضم الميم واللام وكسر الخاء المعجمة وفتح المثناة التحتية المشددة.

(١٤) نسبة إلى بيع الأقباع جمع قبع، وهي كلمة مولدة كانت تطلق على نوع من القلانس والعرب تقول قبعة بضم القاف وفتح الباء المشددة والعين، وتطلقها في خرقة تخطت كالبرنس يلبسها الصبيان، وقد ذكر المقرizi في خططه سوق الأقباعيين وقال: إنه بخط تحت الربع خارج باب زويلة مما يلي الشارع المسلوك فيه إلى قنطرة الخرق إلى آخر ما ذكره، وهو وإن كان قريباً في الجملة من تلك الناحية فقد كان الأولى بالقدساني في التعريف بمكان المدرسة والقبة أن يقول بالشرابيسيين كما قال ابن الطولوني في عبارته المتقدمة، وسوق الشرابيسيين هذا ذكره المقرizi في خططه وموضعه الآن الجزء الذي به قبة الغوري وجامعه من شارع الغورية، وكانت تباع فيه الخلع وأنواع القلانس، وإنما قيل له سوق الشرابيسيين نسبة لبيع الشرابيسي وواحدها شربوش وهو قلنوسوة تشبه التاج كأنها شكل مثلث، ولما بطل استعمالها بقي السوق معروفاً بها إلى أن زال، ولما استعمل الناس في القرون الأخيرة القلسوة الغربية الحمراء ذات العذبة المعروفة عند المغاربة بالشاشة سموها بالشربوش إلا أنهم أبدلوا شينه الأولى طاء فقالوا فيه: طربوش ومن شاء الوقوف على أصل لفظه وتاريخ حدوثه فليرجع إلى مقال لنا في ذلك نشرناه في صحيفة (الفتح) الصادرة في ٥ المحرم سنة ١٣٤٥ ومجلة الزهراء ص ٢٢ سنة ١٣٤٥.

(١٥) تسمى هذه الجهة اليوم بباب الخلع باللام بدل الراء.

- (١٦) هذا سهو منه، فإن البستان المسمى بالمعشوق، لم يكن بجزيرة الروضة بل بقرب بركة الحبشن.
- (١٧) هذا سبق قلم، والصواب من القبة الغورية.
- (١٨) (سنفرد مقالاً فيما نسب من المصاحف الشريفة إلى الصحابة (رضي الله عنهم ولasisima ذي النورين، وما روی عنها وقيل فيها).
- (١٩) سيأتي الكلام على الشعارات النبوية الشريفة في فصل خاص.

آثار القدم الشريفة على الأحجار

قلنا في كلامنا على رباط الآثار المسمى بعد ذلك بجامع أثر النبي إن به حجراً تزعم العامة أن عليه أثر القدم النبوية الشريفة وليس ب صحيح، ووعدنا بمعالجة البحث فيه وفيما يماثله من الأحجار في هذه التتمة فنقول:

المعروف الآن من هذه الأحجار سبعة: أربعة منها بمصر، وواحد بقبة الصخرة ببيت المقدس، وواحد بالقسطنطينية، وواحد بالطائف، وهي حجارة سوداء إلى الزرقة في الغالب عليها آثار أقدام متباعدة في الصورة والقدر لا يشبه الواحد منها الآخر، وقد ألف العلامة أحمد بن محمد الوفائي الشافعي المعروف بابن العجمي المتوفى سنة ١٠٨٦ رسالة سماها: «تنزيه المصطفى المختار عما لم يثبت من الأخبار» بين فيها عدم صحة هذه الأحجار، وأن لا سند لما ورد فيها، ونقل عن الإمام ابن تيمية أنها من اختراع الجهال وأن ما يروى من حديث تأثير قدمه عليه السلام في الصخر إذا وطئ عليه من الكذب المخالق، وفي ج ٢٦٠ من مجلة «الهداية الإسلامية» نبذة في ذلك لأستاذنا العلامة مديرها لخصها من هذه الرسالة فلتراجع. وسنورد في آخر هذه التتمة خلاصة ذكر فيها من تكلم على هذه الأحجار من العلماء الأعلام نفياً وإثباتاً بعد أن نستوفي البحث فيها من الوجهة التاريخية مبتدئين بما بمصر منها على ما يأتي:

الأول: حجر أثر النبي

وهو حجر ضارب إلى الحمرة عليه أثر قدمين، محفوظ في حجرة صغيرة مطلة على النيل وملائقة للحائط الغربي لمسجد أثر النبي، وعلى هذه الحجرة قبة وفي حائطها الجنوبي

محرابان؛ أحدهما لا شيء به، والذى في غربيه به صفة أقصى الحجر عليها وجعل على وجه هذا الحراب رخام منقوش كتب فيه بالنقر سطران بالتركية يفيدان أن إبراهيم باشا مد الله في عمره جدد هذا المقام على رسم القدم، وقد تقدم في كلامنا على رباط الآثار أن إبراهيم باشا الدفتدار المتولى على مصر سنة ١٠٧١ جدده ووسعه وبنى تحته رصيفاً وأرصد له أرضاً وعین به القراء والحراس، ثم نقلنا عن الجبرتي خبر تجديد آخر فيه قام به الخواجة^١ محمود حسن بزرجان باشا سنة ١٢٢٤ وقلنا: إنه البناء الباقي إلى اليوم على الراجح والذي يظهر أن التجديد الأخير لم يشمل قبة الأثر بدليل هذه الكتابة الباقية على الحراب، إلا أن تكون هذه الرخامة أعيدت إلى مكانها بعد التجديد إبقاءً لاسم إبراهيم باشا وتاريخ وضع هذا الحجر بهذا المكان مجھول، فلا يغترن الناظر في الخطط الجديدة التوفيقية لعلي مبارك باشا، بما جاء عنه في كلامه عن قرية (أثر النبي) وزعمه أن الظاهر بيبرس هو الباقي للمسجد ولقبة على هذا الأثر، فقد بیّنا وهمه هذا فيما تقدم، وأن المسجد من بناء الصاحب تاج الدين ابن حنّا، وكان يعرف برباط الآثار، ثم تغيرت معالله مع الزمن بما حدث فيه من التجديد، كما تغير اسمه بجامع أثر النبي، والراجح في هذا الحجر أنه لم يوضع بهذا المسجد إلا في القرون الأخيرة؛ إذ لو كان من زمن ابن حنا أو ما قرب منه، ما أغفل ذكره مؤرخو تلك العصور، كما لم يغفلوا ذكر ما كان هنا من الآثار، ولم نجد له ذكراً فيما اطلعوا عليه من الرحيل إلا في «الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاج» للعلامة عبد الغني النابلسي، وهي في وصف رحلته إلى هذه البقاع الثلاث في أوائل القرن الثاني عشر، وقد زاره باعتقاد وحسن نية، كما فعل بحجر قايتباي، وكانت زيارته له بعد زيارته لقياس النيل بالروضة، فقال عنه ما نصه: «ثم قمنا من ذلك المكان، وركبنا وسرنا مع الجماعة بالسرور والأمان، إلى أن وصلنا إلى المسجد الذي فيه قدم النبي ﷺ، فدخلنا إليه وصلينا صلاة الظهر بالجماعة، ورأينا ذلك المسجد فدخلنا إلى قبة لطيفة، وبها البهجة والجلال والمهيبة لطيفة، وهناك أثر قدم النبي ﷺ في حجر شريف، مرتفع في طاق عال منيف، في الحائط القبلي وعليه الماورد^٢ والستر المسبول، وأنواع القبول، وقد عقدت على ذلك المكان قبة سامية البناء، غالبة الهناء، فتبركنا به وحصل لنا كمال الصفاء، وغاية الشوق والوفاء». ثم أنسد فيه لنفسه:

طه الرسول به الفؤاد مولع أكرم بممشاه المؤثر في الحجر

إن فات عيني أن تراه فإنها
قنعت هناك بما تراه من الأثر

وأنشد فيه أيضاً قوله:

متبكرين بنوره الفياض
أنوارها كالبرق في الإيماض
يهدي القلوب لذكر عهد ماض
للزائرين وسائل الأغراض
من مسها يشفى من الأمراض
قدم النبي بمصر جئنا نحوه
تعلو عليه من الجلاله قبة
وعليه أسرار المهابة والبهاء
حصلت به كل السعادة والمنى
أثر شريف قد بدا في صخرة

انتهى. وبقي هذا المسجد معروفاً بمسجد الآثار بعد نقل الآثار النبوية منه إلى قبة الغوري في أوائل القرن العاشر، ثم عرف بجامع أثر النبي، وهي تسمية لم نرها في التاريخ قبل القرن الحادى عشر، والغالب أنه سمي بذلك بعد وضع هذا الحجر فيه، وقد أطلق هذا الاسم أيضاً على القرية الملائقة له، ثم على الشارع الموصى إليه من مصر القديمة الذي أحدث في هذا العصر متداً على شاطئ النيل.

الثاني: حجر قايتباي

وهو حجر أسود به أثر قدمين موضوع بجوار قبر السلطان الملك الأشرف أبي النصر قايتباي المحمودي المتوفى في ١٧ ذي القعدة سنة ٩٠١ هـ، وكان أعد هذا القبر لنفسه في حجرة واسعة ذات قبة شاهقة ملاصقة لمسجده الذي بناه بالصحراء المعروفة الآن بقرافة المجاورين^٣، ويرى الزائر في ركن من هذه الحجرة قبر ولده السلطان الملك الناصر أبي السعادات محمد، المتولى بعده على المملكة المصرية، والمتوفى مقتولاً في ١٥ ربى الأول سنة ٩٠٤ هـ، وبجواره حجر آخر أسود عليه أثر واحد يزعمون أنه أثر قدم الخليل عليه السلام، والشائع فيهما عند السدنة وسكان تلك الجهة أن السلطان استجلبهما من الحجاز ليوضعوا بعد موته بجوار قبره تبركاً بهما، وهو شيء لم نره مسطوراً في تاريخ^٤، وإنما يذكره بعض أصحاب الرحلات على ما سمعوه من الأقواء، وذكره أيضاً العلامة شهاب الدين الخفاجي في نسیم الرياض شرح شفا القاضي عياض بما نصه: «قيل: إن السلطان قايتباي اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود إلى الآن». قلنا: وإذا لم يصح شراء السلطان لهذين الحجرين أو أحدهما، فلا

يبعد أن يكونوا من الأحجار التي قيل إنها أحضرت من خير لشمس الدين ابن الزمن التاجر الشهير وجعلها بمدرسته التي كان شرع في إنشائها بشاطئ بولاق، وكان يقيم أحياً بمكة للإشراف على أبنية الأشرف قايتباي بها ثم توفي بها سنة ٨٩٧، فيحتمل أنه أحضرها معه من الحجاز، ثم اختار السلطان منها هذين الحجرين فقلهما بعد موته من مدرسته، والله أعلم. وسيأتي الكلام على هذه المدرسة وما كان بها من الآثار في هذا الفصل وفي فصل الشعرات الشريفة.

وقد زار المقرى وأبو سالم العياشي هذا الأثر في القرن الحادى عشر وأبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى في أوائل القرن الثاني عشر، وأبو العباس أحمد الفاسى في أوائل الثالث عشر، فذكروا عدم ثبوت صحته، وأنه يزار بحسن النية فقط، وزاره في أوائل القرن الثاني عشر الشيخ عبد الغنى النابلي، ولكنه لم يعتمد فيه إلا على ما سمعه من الأفواه، وقد ذكره مرتين في رحلته «الحقيقة والحجاز» إدھاما بإسهاب في زيارته الأولى له، والثانية باختصار في زيارته الثانية عند خروجه من القاهرة للحج، فقال في الأولى: «ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى جامع السلطان قايتباي، وهو مكان معمور، وبأنواع الخير مغمور، فدخلنا إليه وزرنا قبر السلطان، وعليه قبة عظيمة، ذات جدران محكمة جسيمة، فوقنا وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالى، وعند رأس القبر قدم النبي ﷺ في صخرة موضوعة على كرسي، وعلى تلك الصخرة قبة لطيفة من خالص الفضة مطلية بالذهب والكتابة بالذهب حولها بالخط الحسن، ولقبة باب، ففتح لنا وزرنا القدم الشريفة، وقبلناها وتبركنا بها، وعند الجدار الشمالي قبر زوجة° السلطان قايتباي، وعلى قبرها قدم الخليل إبراهيم عليه الصلة والسلام أيضاً في صخرة، وعلى تلك الصخرة قبة من خشب فزرنها وتبركنا بها وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى، وذكروا لنا أن السلطان سليمان من بنى عثمان عليه الرحمة والرضوان لما دخل مصر المحروسة زار القدم المذكورة قدم النبي ﷺ وتبرك بها° ثم بعد رجوعه إلى بلاد الروم، أرسل جماعة من الناس إلى مصر، وأخذ القدم النبوية الحمدية فحملت الصخرة إليه لأجل التبرك وحصول الخير بها في البلاد الرومية، فلما وصل ذلك إلى بلاد الروم سلطان بنى عثمان، رأى في منامه السلطان قايتباي، وأمره أن يرد القدم إلى مكانها، وقال له: أنا أخذتها بإذن النبي ﷺ من المدينة، فلما أفاق من منامه أرسلاها إلى مكانها وأرسل معها أربعة أعلام مكتوبة بالذهب، وهي إلى الآن موجودة في ذلك المكان. ا.هـ. قلنا: الذي نسبه إلى السلطان سليم لم يقله أحد من المؤرخين، وإنما نقله كما ذكروه له، وهو من أوهام السدنة وخلطهم

في المسائل التاريخية، والمعروف أن الذي نقل هذا الحجر إلى القدس هو السلطان أحمد بن محمد العثماني بأحمد الأول المتولى سنة ١٠١٢ والمتوفى سنة ١٠٢٦، وهو الذي جعل عليه القبة الفضة على ما ذكره العلامة أحمد المقربي في فتح المتعال في مدح النعال، فقد سرد في خاتمة هذا الكتاب مسائل تعرض في إحداها لهذا الحجر، وأورد أبياناً سقية كثيرة الضرورات رأها مكتوبة على الفضة التي جعلها هذا السلطان على الحجر، وهذا نص ما قال: «ومنها أن كثيراً من مادحه صرحاوا بأنه كان إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه، وإذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه»^٧ حتى إنها اشتهرت عند الناس قصد بعض الحجارة التي فيها شبه أثر القدم النبوية فيما يقال للتبرك بها، خصوصاً ما وضع منها في المواقع المقصودة للزيارة، وقد رأيت بمصر المحروسة بتربة السلطان المرحوم أبي النصر قايتباي المحمودي رحمة الله بالصحراء حجراً فيه أثر قدم يقال: إنه أثر القدم النبوية، والناس يزورونه وقد رأوا له بركات، وقد كان الخنكار^٨ المرحوم سلطان الروم خادم الحرمين الشريفين مولانا السلطان أحمد ابن مولانا السلطان محمد ابن مولانا السلطان مراد بن عثمان^٩ رحمة الله سلفه ونصر خلفه نقله من هذا محل إلى حضرته العلي القسطنطينية، ثم أمر برده إلى محله وجعل عليه فضة بصنعة مملوكة وعليها مكتوب مما قرأته ما مثاله ولم يعلم قائله:

زيارة موطئ القدم المكرم
على إقدام أقدام فقدم
فقال له تقدم خير مقدم
وتعظيمًا لصاحب المعلم
عليه ربنا صلى وسلم
إلى تلقاء موضعه المقدم
وقدّمه على من تقدم
إلى الدرجات في الأخلاق سلم
تشوق حضرة السلطان أحمد
فحركه بجانبته اشتياق
وسيره إلى القدسية^١
وأدخل داره باليمن حباً
حبيب الله سيدنا محمد
وأرجعه^٢ بإعزاز عظيم
إلهي عمر السلطان أحمد
بحرمة صاحب القدم المعلّى

وتشرف بزيارةه سنة ١٠٢٤ ا.هـ. ما ألفيته بحروفه». والذي ذكره من نقل السلطان أحمد للحجر غير مستبعد، فقد ذكرت التوارييخ التركية أنه كان كثير التعظيم للآثار النبوية، حتى إنه نقش مثال القدم النبوية على صُرْغوج عمامته ونقش معه بيته بالتركية من نظمه، والصرغوج حلبة كانت توضع على القلنسوة أو العمامة ولم تزل هذه

القبة إلى اليوم على هذا الحجر، وهي قبة صغيرة قائمة على قاعدة مربعة مرفوعة على أربعة أعمدة والأبيات المذكورة منقوشة بالحفر في جوانب القاعدة، ولم تتسير لنا قراءتها إلا بعناء بعد جلاء موضعها ومسحه، وكانت تظهر لنا في بعض المواقع عند مسحها آثار الطلاء بالذهب، وقد اكتمل لون القبة وتغير حتى يخيل لرأيها أنها من نحاس. وأما الحجر الآخر الذي قيل: إنه به أثر الخليل فعليه شبه قبة من خشب مستطيلة دقيقة الأعلى واسعة الأسفل كالقمع سازجة لا أثر للصناعة فيها.

ولما زار أبو العباس أحمد الفاسي في رحلته إلى الحج سنة ١٣١١ مسجد السلطان قايتباي، وصف الحجرين بقوله: «وتبركت بحجرين هنالك شاع على السنة العوام أنهما أثر فيهما قدما النبي ﷺ، أحدهما ب LCS قبر السلطان المذكور فيه أثر قدمين، والآخر مقابل له يمنة الداخل من الباب فيه أثر آخر، وعليهما بناء وهمما مرفوعان من الأرض على بناء، وإن لم يصح ذلك فقد نسبا إلى النبي ﷺ في الجملة والله يعاملنا بنياتنا». ثم نقل عبارة أبي سالم العياشي عندهما في رحلته، ونصها^{١٢}: «عند رأس القبر حجر مبني عليه بناء حسن فيه أثر قددين شاع عند الناس أنهما قدما النبي ﷺ، وهناك حجر آخر فيه أثر قدم أخرى يقال: إنها قدم الخليل، والناس يزورونها ويدركون أنها من الذخائر التي ظفر بها السلطان قايتباي أيام سلطنته، فجعلت عند قبره رجاء بركتها ولا يبعد ذلك، فقد كان ملگاً عظيماً عدلاً موقراً مهيباً محبياً إلىخلق، ذا سيرة حسنة في الرعية، واجتهاد في عبادة ربها، إلا أننا لم نر من نص على أنه ظفر بشيء من هذه الآثار من المؤرخين، بل ذكر جماعة من حفاظ المحدثين أن ما استفاض واشتهر خصوصاً على السنة الشعراء والمداح من أن رجل النبي ﷺ غاصت في الحجر لا أضل له، ولم يذكر أحد أن أثر الخليل عليه السلام موجود في غير حجر المقام. قلت: وبالمدينة المشرفة ومكة والقدس آثار يقال: إنها آثار بعض أعضاء النبي ﷺ من قدم ومرفق وأصابع والله أعلم بصحة ذلك، ولكن لم يزل الناس منذ أعيصار يتبركون بها من العلماء والصالحين، ويتيقى الآخر منهم الأول، فأجل ذلك لما دخلنا إلى مزار السلطان المذكور صبَّ القيم على الآثرين شيئاً من ماء الورد، فغمستنا فيه أيديتنا ومسحنا بها أوجهنا ورءوسنا وأبداننا رجاء البركة بحسن النية وجميل الاعتقاد» إلى آخر ما ذكره. وقال أبو العباس الفاسي عقب نقله لكلمه: «وما زال يبعد كل البعد عند علماء القاهرة ثبوت الأثر المذكور، فقد تكلمت مع شيخنا الشيخ داود القلعي في ذلك فلم يسعفي بالكلام فيه». ا.هـ. قلنا: وأثار القدم والمرفق التي أشار إليها أبو سالم العياشي رأيناها مذكورة في سؤال رفع إلى

الإمام السيوطي، فأجاب بأنه لم يقف في ذلك على أصل ولا سند ولا رأي من خرجه في شيء من كتب الحديث. أ.هـ. والذي يرويه الناس في المرفق أنه عَلَيْهِ الْكَفَافُ لما جاء إلى دار أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بمكة ووقف ينتظره أصدق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق بالحائط في الحجر وأثر فيه، وبه سمى الزقاق زقاق المرفق. أ.هـ. ملخصاً من فتح المتعال للمقربي. وذكره أيضاً قطب الدين الحنفي في الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في الخاتمة التي خصها بالأماكن المجاورة فيها الدعاء بمكة فقال: إنه صفحة حجر مبني في جدار في وسطه حفرة مثل محل المرفق يزوره العوام ويزعمون أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اتكأ عليه فغاص مرفقه الشريف فيه، ثم قال: «وما رأيت في الكلام أحد من المؤرخين من حق شيئاً من ذلك، والله أعلم بحقيقة»^{١٣}، ورأينا أيضاً في موضعين من هذه الخاتمة أن بالجبل المقابل لثبير الذي بالحفة مسجد الخيف غاراً يقال له غار المرسلات لنزول سورة «والمرسلات» به، تزعم العامة أن سقفه لأن رأس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ فأثر به تجويفاً بقدر دورة الرأس فيضع الناس رءوسهم في هذا الموضع تبركاً، ثم ذكر أنه لم يقف على خبر يعتمد في ذلك. قلنا: ذكره التقى الفاسي في شفاء الغرام والجلال السيوطي في الخصائص الكبرى عن أبي نعيم ولكن بلا سند، وقد بقي هذان الحجران مقصودين بالزيارة إلى زماننا هذا، وذكرهما العلامة إسماعيل الحامدي المالكي أحد علماء الأزهر المتوفي سنة ١٢٩٦ في الرحلة الحامدية إلى الأقطار الحجازية، وهي في حجة سنة ١٢٩٧هـ، فقال: إنه زارهما وإن حجر المرفق كان قريباً من الصاغة، وذكر حجراً آخر زاره في الطريق التي بين مكة والتنعيم، قيل: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ أسند ظهره إليه فلان وغاص^{١٤} فيه، وذكر حجراً آخر قيل: إن عليه أثر كفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ بمسجد الغمامه بجهة بدر، وحجرًا بالمدينة في مكان بأسفل جبل أحد عليه أثر نبوي. والراجح أنها قلعت جميعها من أماكنها ومحبته آثارها بعد استيلاء الملك عبد العزيز بن سعود ملك نجد على الحجاز سنة ١٣٤٤، ومن حجارة الآثار حجر قيل: إن عليه أثراً نبوياً في قرية شهر بالطائف يسمونه بأثر الغزاله النبوية، ذكره الفاكهي في تاريخه للطائف، ونقله عنه الشيخ محمد عبد الكريم من علماء القرن الثاني عشر في رسالته له في فضائل الحبر ابن عباس والطائف، ثم قال: «ولم أقف على ما يشهد لذلك في كتب الآثار ولا في أجزاء لطيفة صفت في آثار الطائف للמתآخرین ولا على ما ينفيه». أ.هـ. وقد دعانا التعرض لأثر المرفق إلى الاستطراد لذكر هذه الأحجار إجمالاً لفائدة بيانها وبين أن لا مستند فيها إلى على ما هو شائع بين الناس، والله أعلم.

الثالث: حجر المقام الأحمدي

وهو في ركن من أركان القبة المقامة على ضريح السيد أحمد البدوي (رضي الله عنه) بطنطا المعروفة الآن عند العامة بطنطا، ولم أقف فيه إلا على ما ذكره الشيخ عبد الصمد في الجوادر السنوية في النسبة والكرامات الأحمدية من أنه حجر أسود مثبت في ركن القبة تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى، وفيه موضع غوص قدمين شاع بين الناس وذاع واستفاض وملأ البقاع والأسماع أنه أثر قدمي رسول الله ﷺ، وكل من زار الأستاذ يتبرك به. أ.هـ. ولم يتعرض لذكر واسعه وتاريخ وضعه بهذا المكان.

الرابع: حجر البرنبل

وهي قرية شرقى النيل من قسم إطفيح^{١٥} بولاية الجيزة وفي شرقها على قارة بسفح الجبل مقام لسيدي أويس القرني، والصحيح أنه غير مدفون بمصر، وفي شرقى هذا المقام حجر صلب في الجبل به أثر قدم تزعم العامة أنه قدم رسول الله ﷺ، ويزوره سياح الإفرنج كثيراً.

الخامس: حجر قبة الصخرة

ببيت المقدس وهو قديم ذكره الإمام ابن تيمية وأنكر صحته، وقال عنه العليمي في «الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل»: «القدم الشريفة في حجر منفصل عن الصخرة محاذ لها آخر جهة الغرب من جهة القبلة وهو على عمد رخام». ومثله في «باعت النفوس لزيارة القدس المحروس» لبرهان الدين إبراهيم ابن قاضي الصلت، و«إتحاف الأخصار بفضائل المسجد الأقصى» لشمس الدين محمد المنهاجي السيوطي، وذكره أيضاً جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري في «تحصيل الأننس لزائر القدس»^{١٦} بما لا يخرج عن ذلك وزاره العلامة المقرئ وقال عنه في «فتح المتعال»: «وقد رأيت حجرًا فيه أثر قدم بقية الصخرة الشريفة ببابيت المقدس، والناس يعظمونه ويتبكون به». وقد زاره العلامة عبد الغني النابلسي وأشار إليه في رحلته «الحقيقة والمجاز» محيلاً على ما ذكره عنه في «الحضررة الأننسية في الرحلة القدسية». وقد نقل في الحضررة الأننسية ما قدمنا نقله في وصفه، ثم قال: «وجعلوا على هذا المكان من الفضة على شكل الخزانة له قبة صغيرة وبباب بمصراعين كل ذلك مصنوع من الفضة على شكل الخزانة، ثم خافوا على

ذلك من السارق فجعلوا على ذلك شبكة من النحاس الأصفر لها باب بمصراعين أيضًا يفتح للزائرين، ففتحوه لنا والتمسنا من أثر تلك القدم البركة، وقد وضعوا فيه ماء الورد، فوقفنا ودعونا الله تعالى بما تيسر من الدعاء، وأخذنا منه ووضعنا على وجوهنا، ودفعنا للخادم ما تيسر من الدرارهم كما هو عادتهم، وقلنا في ذلك من النظام على حسب ما اقتضاه المقام:

ليلة المعراج والرسل خَدَمْ
عبرة لما بها الصخر اصطدم
يظهر التأثير من لحم ودم
وهو للشك وللريب هدم
فتبركت بآثار القدم^{١٧} قام في الصخرة طه المصطفى
وبدا التأثير من أقدامه
وعجيب كيف في صلد الصفا
إنه معجزة لا عجب
فاتني لثم ثرى أقدامه

السادس: حجر القدسية

وهو على ما في التوارييخ التركية من الآثار التي أخذها السلطان سليم من الشريف بركات أمير مكة بعد فتحه مصر ونقلها معه إلى القدسية، وهي محفوظةاليوم بقصر (طوبقيبو)، وتسمى عندهم بالأمانات المباركة.

السابع: حجر الطائف

جاء في اللطائف من قطر الطائف لابن عراق أن من المواقف النبوية بالطائف موقفًا بجبل أبي زبيدة، وأخر عند وجّه صخرة عليها أثر موقفه الشريف في مسجد العadas بجبل أبي الأخيلة، وقد تكلم العلامة جار الله محمد بن فهد على هذه المواقف في تحفة الطائف في فضائل الحبر ابن عباس وجّه والطائف، إلا أن النسخة التي عندنا وقع بها سقط في هذا الموضع اختلت بسببه العبارة، وفي «إهداء اللطائف من أخبار الطائف» للعجمي ما نصه: «ومن المآثر موقف بجبل أبي زبيدة في طريق الذاهب إلى وج من جبل يقال له: قرين ثم في سفح جبل يقال له: أبو الأخيلة معبـد العadas، وهو في مسجد بالمثنـاة وأثر الموقف ظاهر في صخرة في ركن المسجد المشهور بمسجد الموقف». ا.هـ. قلنا: وقد بلغنا أن بوج في الجهة المسماة بالمثنـاة مسجـدًا به حجر باق إلى اليوم يزعمون

أن عليه أثر مرفقه ﷺ، ولهذا يسمونه بمسجد الكوع؛ لأن العامة تطلق الكوع على المرفق وهو من أوهامها، والظنون أنه المسمى قدماً بمسجد الموقف، ثم سماه الناس في العصور الأخيرة بمسجد الكوع لتوهمهم أن الذي به أثر المرفق الشريف لا القدم لعدم وضوح الأثر وضوحاً كافياً فيما يظهر، ولهذا عدناه من أحجار الأقدام الباقية إلى اليوم ولتحقق.

أحجار أخرى كانت بمصر

عليها أثر القدم الشريفة فيما زعموا، أشار إليها السخاوي في ترجمة شمس الدين محمد بن عمر بن محمد بن الزمن الشافعي المتوفى سنة ٨٩٧، وذكر أنها أحضرت له من خير، وأنها كانت مع آثار أخرى في مدرسته التي شرع في إنشائها بشاطئ بولاق، قلنا: ولا ندري أين ذهبـتـ، ولعل منها بعض الأحـجـارـ المعروفةـ بمـصـرـ الـآنـ، كالـحـجـرـينـ اللـذـيـنـ بـتـرـبةـ قـاـيـتـبـايـ كـمـاـ قـدـمـنـاـ، وـالـلهـ أـعـلـمـ.

حجران آخران بمكة والمدينة

ذكرهما العلامة المقرى في فتح المتعال فقال: «ورأيت بمكة المشرفة أيضًا في القبة التي وراء قبة زرم زرم أثر قدم في حجر يقولون: إنه أثر قدم النبي ﷺ، وأخبرني بعض الناس أن بالحجرة الشريفة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام حجرًا كذلك، ولم أره حين دخلت للترك بإيقاد مصابيحها، ثم سألت عن ذلك الثقات العارفين، فأجابوني، إن الحجرة ليس فيها شيء من ذلك، وإنما هو في بعض أماكن المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام، فذهبت إليه فألفيت موضعه مما لا يمكن دخوله في الوقت الذي ذهبت فيه، وبعد هذا تكرر دخولي الحجرة الشريفة مرارًا عديدة، فلم أر فيها ذلك بيقين، فعلمت أن الخبر لي وهم». اهـ. قلنا: أما حجر المدينة فلا نعلم عنه شيئاً، وأما حجر مكة فإن القبة التي كان بها هدمها الشريف عون الرفique أمير مكة المتولى عليها سنة ١٢٢٩هـ المتوفى بها يوم الأربعاء ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣هـ. وبلغنا أن حجرًا أثريًا كان بها، وهبه الشريف لأحد الهنود بعد هدمها، فلعله الحجر المذكور الذي رأه المقرى.

آثار أقدام بعض الأنبياء

في بعض البلدان آثار أقدام على أحجار منسوبة إلى بعض الأنبياء كأثر قدم آدم عليه السلام في جزيرة سرنديب المعروفة أيضاً بسيلان بالهند، وأثر قدم الخليل عليه السلام بالحرم المكي، وأثر قدم موسى عليه السلام بظاهر دمشق، وأثر قدم عيسى عليه السلام بطورزيتا ببيت المقدس، وأثر قدم إدريس عليه السلام ببيت المقدس، وأثر قدم أبيوب عليه السلام بقرية قرب نوى بالبلاد الشامية، ولكن مقالنا هذا خاصاً بالآثار الحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام اكتفينا بالإشارة إليها دون التعرض لتحقيقها وتفصيل الكلام عليها.

تنبيه

كان في مصر مسجد بالقرافة الكبرى معروف بمسجد الأقدام يرد ذكره في كتب الخطط والتاريخ، وقد يتوهם من يراه مذكوراً عرضاً في بعض العبارات أنه سمي بذلك لأحجار كانت فيه عليها آثار أقدام منسوبة للنبي ﷺ أو لبعض الأنبياء عليهم السلام كالتي تقدمت وليس كذلك، وإنما سمي بمسجد الأقدام لأن مروان بن الحكم لما دخل مصر وصالح أهلها وبايده امتنع من بيعته ثمانون رجلاً من المعافر سوى غيرهم، وقالوا: لا ننكر بيعة ابن الزبير، فأمر مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على بئر المعافر في هذا الموضع فسمى المسجد بهم؛ لأنه بني على آثارهم والأثار الأقدام، يقال: جئت على قدم فلان أي أثره، وقيل: بل أمرهم بالبراءة من علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يتبرءوا منه فقتلهم هناك، وقيل: سمي مسجد الأقدام لأن قبيلتين اختلفتا فيه، كل تدعى أنه من خطتها، فقيس ما بينه وبين كل قبيلة بالأقدام وجعل لأقربهما منه، وقيل: إنما سمي مسجد الأقدام لأنه كان يتداوله العباد، وكانت حجارته كذاً فأثر فيها مواضع أقدامهم، كما في خطط المقرizi. قلنا: وإنما أثرت أقدامهم فيه لأن الكذان من الحجارة الرخوة، ولما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ في بناء جامعه داخل باب زويلة، ونقل إليه العمدة وألواح الرخام من الدور والمساجد، هدم هذا المسجد لذلك، وفي تحفة الأحباب للسحاوي أنه كان من المساجد السبعة التي بالقرافة المجاورة عندها الدعاء، وكان واسع البناء على البناء مرتفعاً عن الأرض يصعد إليه من درج، وكانت العامة تزعم أنه به قبر آسية امرأة فرعون، وتسمى الموضع بها وليس بثابت، ولم يزل عامراً حتى أنشأ السلطان الملك المؤيد

أبو النصر شيخ مدرسته داخل باب زويلة من القاهرة فحسنوا له خرابه، وقالوا له: هذا في وسط الخراب فصار كوماً من جملة الكيمان التي هناك.

آراء العلماء في آثار القدم النبوية الشريفة

من الذين أنكروا صحة ذلك وذكروا أن لا أصل ولا سند لما ورد فيه الإمام أحمد بن تيمية في فتاواه، ونقله عنه تلميذه الإمام ابن القيم، والإمام السيوطي في فتاواه، والعلامة ابن حجر الهيثمي في فتاواه مؤيداً لفتوى السيوطي وفي شرحه للهمزية، حيث ذكر أن من روى هذا الخبر من أصحاب الخصائص رواه بلا سند، والحافظ محمد بن يوسف الشامي تلميذ السيوطي في سيرته النبوية «سبل الهدى والرشاد»، وقال في فتوى شيخه: وناهيك باطلاع الشيخ، وقد راجعت الكتب التي ذكرها في آخر الكتاب فلم أر ذلك، فشيء لا يوجد في كتب الحديث والتاريخ كيف تصح نسبة لرسول الله ﷺ. ا.هـ. وقال المقربي في فتح المتعال: وممن أنكروا الإمام برهان الدين الناجي الدمشقي وجزم بعدم وروده. ا.هـ. ومنهم الشمس العلقمي، والعلامة عبد الرءوف المناوي: والعلامة محمد الشوبيري قدوة الشافعية فيما كتبه على المواهب اللدنية، والعلامة علي الأجهوري المالكي في شرح ديباجة مختصر المالكية على ما ذكره عنهم ابن العجمي في تنزيه المصطفى المختار، والعلامة محمد الزرقاني فيما كتبه على المواهب اللدنية، والعلامة أحمد المقربي في فتح المتعال، ومن المتأخرین العلامة داود القلعي على ما حکاه عنه الفاسی في رحلته، ومن أصحاب الرحل أبو سالم العياشي وأبو العباس أحمد الدرعي وأبو العباس أحمد الفاسی، غير إنهم قالوا بأنه وإن لم يصح فيizar بحسن النية لنسبة في الجملة للمقام النبوی، والعلامة أحمد الشهیر بابن العجمي في رسالته تنزيه المصطفى المختار التي قدمنا ذكرها، وقطب الدين الحنفي في «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام»، غير أن كلامه خاصٌ بأثر المرفق فذكر أنه لم ير في كلام أحد من المؤرخين من حق ما يقال عنه، والعلامة محمد الحفني الكبير في حاشيته على شرح ابن حجر الهيثمي على الهمزية في قول الناظم:

أو بلثم التراب من قدم لا نت حياء من مسها الصفواء

وقول ابن حجر عنه: «هذا الذي ذكره الناظم ذكره غيره من تكلم على الخصائص لكن بلا سند» فإنه علق عليه بقوله: « قوله بلا سند في فتاوى الشارح^{۱۸} هل ورد أنه

لأن له الصخر وأثرت قدماه فيه؟ وأنه إذا مشى على التراب لا تؤثر قدمه الشريفة فيه؟ وأنه لما صعد صخرة بيت المقدس ليلة المراجع اضطربت تحته ولانت فامسكتها الملائكة؟ وأن الأثر الموجود بها الآن أثر قدمه؟ وأنه عليه لما جاء إلى بيت أبي بكر بمكة ووقف ينتظره أصدق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق في الحجر وأثر فيه وبه سمي الزقاق بمكة زقاق المرفق؟ فأجاب بقوله: أجاب الحافظ السيوطي لما سئل عن ذلك كله فقال: لم أقف له على أصل ولا سند ولا رأيت من خرجه في كتب الحديث» ثم قال عقب نقله عبارة ابن حجر المذكورة: «وقد ذكر الأئمة أن الحافظ إذا قال مثل هذه العبارة بقوله لا أعرفه دل على عدم وروده» ١-هـ.

أما المثبتون: فالإمام تقى الدين السبكي بقوله في تائيته:

وأثر في الأحجار مشيك ثم لم يؤثر برملي أو ببطحاء مكة

والعلامة القسطلاني في المواهب الالهية، غير أن شارحها العلامة الزرقاني رد عليه وناقشه فيما أورده، والعلامة شهاب الدين الخفاجي في نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض في خاتمة أوردتها عقب شرحه لفصل المعجزات الواقعة في الجمادات من الباب الرابع الخاص بالمعجزات النبوية من القسم الأول، والعلامة عبد الغني النابلسي في الحضرة الأننسية في الرحلة القدسية، وقد أطال في محاولة إثبات هذه الآثار، وقال في ردہ على من نفي من العلماء وجود سند لها بأن «الراجح إثبات ذلك ميلًا إلى ما اتفق عليه عموم الناس واشتهر على ألسنة الخلف عن السلف، وإن لم يكن لهم مستند في ذلك فقد يكون لهم مستند وخفى علينا» ١-هـ.

وممن ذهب إلى إثباتها من المتأخرین العلامة أحمد زيني دحلان في سيرته النبوية، قال العلامة ابن العمیي بعد أن لخص أقوال المثبتین من أهل عصره ومن قبلهم ما نصه: «وحاصل جميع ما تقدم الاعتراف بأن ذلك لا سند له وأنه على مجرد الشهرة، وهو غير كاف في إثبات نسبتها إليه عليه; لأن الخصوصيات لا تثبت بالاحتمالات؛ لأنها من الأمور السمعية المحضة التي لا مجال للعقل فيها بنفسه، فما وجدنا فيه نصًا نتحدث به ونعتقد به، وما لا نص فيه نكل علمه إلى الله تعالى وإلى رسوله عليه، ولا نتكلم به لعدم استقلال العقل فيه بنفسه دون نص» ١-هـ.

بقي أن الجلال السيوطي وإن أنكر ذلك في فتاواه فقد ذكره في باب ما اختص به عليه عن أمته في أواخر خصائصه الصغرى نقلاً عن رزين العبدري ولكن بلا سند

وسلكت عنه كالمقر له حتى نسبه بعضهم إلى الاضطراب والتردد، وببعضهم إلى السهو والنسيان، ولم يعرف أي الكتابين أسبق في التأليف حتى يعود على ما في الأخير منها ويعد رجوعاً منه عما في الأول، وقد حاول الشهاب الخفاجي في شرح الشفا التوفيق بين صنيعيه بقوله: «قلت: لا سهو ولا نسيان فإن السيوطي رحمة الله تعالى لم ينكر هذه المعجزة، وإنما أنكر ما يؤثر بعينه في الأماكن التي ذكروها». قلنا: يصح ذلك لو أن السيوطي اقتصر في فتاواه على إنكاره التأثير في شيء بعينه، ولكنه مع إنكاره ذلك في بعض أحجار معروفة أنكر أيضاً تلين الصخر وتتأثير القدم الشريفة فيه على العموم، وهذا نص ما جاء في السؤال الذي أجاب عنه: «مسألة فيما هو جار على السنة العامة، وفي المذاهب النبوية، أن النبي ﷺ لأن له الصخر وأثرت قدمه فيه، وأنه كان إذا مشى على التراب لا تؤثر قدمه فيه، هل له أصل في كتب الحديث أو لا؟ وهل إذا ورد فيه شيء من خرجه؟ وصحيح هو أو ضعيف؟ وهل ما ذكره الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي في معراجه الذي أله مسجعاً ولفظه: «ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعلماها، فصعد من جهة الشرق أعلىها، فاضطربت تحت قدم نبينا ولانت، فأمسكتها الملائكة لما تحركت ومالت» ألهذا أصل في كتب الحديث صحيح أو ضعيف أو لا» إلى آخر ما ذكر من السؤال عن أثر القدم الذي هناك، وعن أثر المرفق بمكة وغير ذلك، فأجاب بما ذكر بقوله: «لم أقف له على أصل ولا سند، ولا رأيت من خرجه في شيء من كتب الحديث». أ.هـ. وذهب العلامة ابن العجمي في تنزيه المصطفى المختار إلى أن المعتمد ما ذكره في الفتاوى؛ لأن العلماء يتحرون في فتاواهم أكثر مما يتحرون في المصنفات، وأما كتابه الخصائص فقد جمع فيه ما قيل: إنه من الخصوصيات ولم يعتمد جميع ما فيه، ولكل مقام مقال. أ.هـ. ملخصاً. قلنا: وفي قوله هذا نظر؛ لأنه لو كان قد صد في هذا الكتاب جمع ما قيل بلا اعتماد جميع ما فيه لتبه على ذلك في مقدمته أو خاتمتها، والمرجح عندنا أن عدم تعقبه ما نقله عن رزين بأنه لا أصل له ولا سند على ما قرره في فتاواه لم يكن إلا سهواً منه وجل من لا يسمون بالعلم.

ولنختم هذا البحث بما ختم به هذا الفاضل رسالته «تنزيه المصطفى المختار» فقال: «لا يخفى على ذوي البصائر أن ما ذكر آنفًا جميعه من عدم ثبوت هذه الأحجار المعينة بمصر وغيرها، إنما الغرض منه تنزيه الجناب الرفيع الأعلى والمقام الأئمي عن أن ينسب إلى حمام الأجل الأحمى، ما لم يثبت عنه أصلاً، ولا ورد لا قولًا ولا فعلًا، فلا يتوجه عاقل أبداً من نفي ذلك نقصاً معاذ الله وحاشا وكلا، بل ذلك يقتضي زيادة

رفعته العظيمة، وأناقة منزلته الكريمة، بحيث لا يحتم حول ذلك الحمى الأعظم، إلا بما ورد عنه عليه السلام، ونص على ثبوته من يوثق به من الأئمة الحافظ الأعلام، جهابذة الإسلام».

هوامش

(١) الخواجة وقد يرسمه بعضهم بـألف في آخر بدل التاء لفظ فارسي دخيل في التركية ويرسم في اللغتين بهاء في آخره غير منطوقه وهو لقب تكريم عندهم يرادف الأغا والأفندي والسيد وما في معناها، ويطلق أيضاً على الأساتذة المعلمين ولاسيما المشايخ المعممين منهم وقد يحرف في هذا المعنى، فيقال فيه: خوجه يحذف الألف التي بعد الواو، وفي الفوائد البهية في ترجم الحنفية أن القشبندي يطلقون الخواجة على مشايخهم للتكريم، ورأينا في بعض التواريخ تقبيل الوزراء به ثم لقب به كبار التجار واستعمل في ذلك إلى عصر الجبتي ولماكثر نزوح الإفرانج إلى مصر في أوائل هذا العصر، وكان أغلب الوافدين منهم في أول الأمر تجاراً كرمواهم بهذا اللقب ثم توسعوا فيه فأطلقوه على كل إفرنجي ثم قيل أيضاً للوجيه من غير المسلمين، وإن لم يكن إفرنجياً، وقد فصلنا الكلام عليه في معجم العامية المصرية.

(٢) أي ماء الورد.

(٣) هي المقبرة الشمالية الواقعة شرقى مساكن القاهرة وكان حدوثها في القرن الثامن وسميت بذلك لأنها أقرب المقابر للأزهر، وبها مدافن مجاوريه أي طلبته وفيها بقعة يكثر دفن علمائه بها تعرف ببستان العلماء، ولما توفي الشيخ المعتقد عبد الوهاب العفيفي المدرس بالأزهر سنة ١١٧٢ ودفن في مقبرة المجاورين سميت أيضاً بقرافة العفيفي.

(٤) قال العلامة أحمد بن العجمي في تنزيه المصطفى المختار: «لو كان للحجر الذي قيل: إن قايتباي اشتراه مجرد شائبة شهرة أيضاً لذكره الجلال السيوطي في ترجمته وعدّه في مناقبه فإنه كان في زمانه وأثنتي عليه».

(٥) لم يذكر أحد من المؤرخين فيما نعلم أن زوجته دفنت معه بالقبة، والمذكور أن الذي دفن معه ولده السلطان الملك الناصر أبو السعادات محمد، وإنما بجوار حجرة القبة حجرة سفلى بها بعض قبور شاع بين الناس أن زوجة السلطان مدفونة في إحداها، والذي يؤخذ من تاريخ ابن إيساس أن المدفون بهذه الحجرة جاسم وأخوه جاني بك ابنا عم الناصر محمد بن قايتباي وأربك الخاصكي، والثلاثة ممن قتل مع الناصر المذكور.

(٦) لا يعرف أنه زار القدم أو دخل هذا المسجد وغاية ما ذكره ابن إياس عنه أنه لما خرج من القاهرة يوم الخميس ٢٣ شعبان سنة ٩٢٣ عائداً إلى بلاده سار بين الترب إلى بركة الحاج فلما مر بتربة الأشraf قايتباي وقف هناك وقرأ الفاتحة وأهدأها إليه.

(٧) من ذلك قول بعضهم:

وعليك ظلت الغمامـة في الورى
والجـذع حـن إلى كـريم لـقاـكا
وكـذاك لا أـثر لـمشـيك في الثـرى
والصـخـر قد غـاصـت بـه قـدـمـاكـا

وقول الإمام البوصيري في الهمزية:

أو بلـثـم التـراب من قـدـمـ لـانت
حـيـاءـ مـنـ مـسـهـاـ الصـفـوـاءـ:

ويروى (من مشيه) قال العـلامـةـ ابنـ حـجرـ الهـيثـميـ فيـ شـرـحـهـ لـهـذـاـ الـبـيـتـ:ـ هـذـاـ الـذـيـ
ذـكـرـهـ النـاظـمـ ذـكـرـهـ مـنـ تـكـلمـ عـلـىـ الـخـصـائـصـ لـكـنـ بـلـ سـنـدـ.

(٨) الـخـنـكارـ بـضـمـ فـسـكـونـ معـناـهـ فيـ الـتـرـكـيـةـ السـلـطـانـ،ـ وـهـوـ تـحـرـيفـ أوـ اـخـتـصـارـ
لـفـظـ خـدـاـ وـنـدـكـارـ بـمـعـنـىـ السـلـطـانـ فيـ الـفـارـسـيـةـ.

(٩) قوله ابن عثمان هي نسبة إلى جدهم الأعلى؛ لأن السلطان مراداً المذكور هو ابن سليم بن سليمان بن سليم إلى أن ينتهي النسب إلى عثمان، وكثيراً ما يعبر المؤرخون عن كل سلطان منهم بابن عثمان.

(١٠) قوله (وسيره) هو المنقوش على القبة كما رأيناها والذي في نسخ فتح المتعال التي اطلعنا عليها (وصيره) بالصاد، وقوله القسطنطينية هو بحذف الياء التي بعد الطاء الثانية لضرورة الوزن.

(١١) هو المنقوش على القبة، والذي في نسخ فتح المتعال (وراجعه) وهو تحريف.

(١٢) نقلها عنه أيضاً أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي في رحلته إلى الحجاز.

(١٣) وذكره الأستاذ بعبارة مختصرة في إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، وذكر كذلك الأثر الذي بغار المرسلات.

(١٤) لعله الذي سماه التقى الفاسي بالمتكلأ في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام إن لم يكن مراده بالمتكلأ أثر المرفق أو شيئاً آخر غيرهما، وقد ذكر أنهما اثنان أحدهما بقرب

باب الحرم المعروف بباب العمارة، والثاني في طريق التنعميم المعتادة، وقال: لعلهما سمي بذلك للراحة بالاتكاء عندهما من تعب السير إلى العمارة، ولم يذكر أنهما نبويان وذكر متكاً آخر منسوباً إليه ﷺ بأجياد الصغير وهو دكة مرتفعة ملاصقة لدار شيخ الحجبة ومتكاً رابعاً بجهة أخرى من أجياد الصغير، ذكره الأزرقي وقال فيه: سمعت جدي أحمد بن محمد ويوسف بن محمد بن إبراهيم يسألان عن المتكا، وهل صح عندهما أن النبي ﷺ اتكاً فيه؟ فرأيتهما ينكران ذلك ويقولان: لم نسمع به من ثبت.

(١٥) البرَّتيل كحزنبل أي بفتحتين فسكون فتح، وإطفيح كإزميل أي بكسر الأول وهو اسم قرية مشهورة على ما في شرح القاموس للزبيدي.

(١٦) منه نسخة حسنة الخط كتب سنة ٩٠١ بالخزانة البلدية بالإسكندرية مجلدة مع فضائل الشام لابن رجب الحنبلي ورقمها (١٣٥١ - د).

(١٧) اعتمدنا في نقل ذلك على نسخة مخطوطه من هذه الرحلة أوفى بكثير من المطبوعة بمطبعة الإخلاص.

(١٨) أي المعرفة بالفتاوی الحدیثیة لا فتاواه الفقهیة الکبری، وقد حذف العلامة الحفni من السؤال قول السائل: « وأنه لم يعط نبی معجزة إلا أعطى نبینا ﷺ مثلها أو واحداً من أمته » لأنه غير داخل فيما أنکره المسئول، بل أجاب عنه بقوله: « والتحقيق أنه لم يعط نبی معجزة إلا أعطى نبینا محمد ﷺ مثلها أو أعظم منها ».

الآثار التي بالقسطنطينية

هي المعروفة عند الأتراك بالأمانات المباركة، ولم تزل محفوظة إلى اليوم بقصر طوبقيبو بالقسطنطينية، وكان بنو عثمان يبالغون في تعظيمها، ويعدونها من مفاخر دولتهم، والذي يذكره عنها مؤرخو الترك، أنها كانت عند الشرفاء أمراء مكة، فلما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٢هـ طلبها من الشريف بركات أمير مكة وقتئذ، فبعث بها إليه مع ولده أبي نعّي، فحملها السلطان إلى القسطنطينية في عودته إليها؛ وذهب بعضهم إلى أنها كانت عند الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر فسلمها السلطان من آخرهم، وهو المตوك على الله محمد بن يعقوب^١ بل ربما تجد هذا الخلاف في الكتاب الواحد فترى الرأي الأول في موضع منه ثم ترى الرأي الثاني في موضع آخر بلا تنبيه أو إشارة، غير إن أكثرهم على الرأي الأول، والظاهر أن الرأي الثاني مبني على الاستنتاج لا على النقل لتوهمهم أن وجود الآثار النبوية عند الخلفاء من مستلزمات الخلافة ومكملاتها، فلما عاد السلطان سليم من مصر بال الخليفة والآثار، ظنوا أنه تسلّمها منه.

وليس في التواريخ العربية التي بأيدينا ذكر لهذه الآثار ولا إشارة إليها سوى أن ابن إياس لما ذكر قدوم ابن الشريف بركات على السلطان سليم بمصر قال عنه: «وأحضر صحبته تقادم فاخرة» والمراد بالقادم الهدايا، فعل هذه الآثار كانت منها، ولكن سكوته عن الإفصاح عنها — مع ما لها من الشأن وجلالة القدر — لا يخلو من نظر.

والذي استخلصناه عن الشريف بركات هذا من تواريخ الحجاز أنه بركات بن محمد بن برفات، ولد بمكة سنة ٨٦١، وسافر إلى القاهرة سنة ٨٧٨، ورجع شريగاً لوالده في الإمارة، ثم استقل بها بعد وفاته سنة ٩٠٣، ثم ثار عليه أخواه: الشريف هزاع والشريف أحمد الملقب بالجازاني سنة ٩٠٤، ووقعت بينهم حروب ألت إلى ورود مرسوم السلطان الغوري من مصر بتولية هزاع الإمارة فتولاها إلى أن توفي سنة ٩٠٧.

فتولاهما بعده أخوه أحمد، ثم ورد المرسوم من مصر بإعادة بركات فأعيد، وووقيت بينه وبين أحمد حروب وأهواه في أثناء سنة ٩٠٨ ثم وصلت جنود من مصر في ذي القعدة من تلك السنة فمال قائدتها مع أحمد وأعاده وقبض على بركات وجماعة من الأشراف وجعلهم في الحديد وعاد بهم إلى مصر بعد نهب دورهم، فتألم السلطان الغوري لذلك وأمر بإطلاقهم وإكرامهم، ثم فرَّ بركات في أواخر هذه السنة أو في سنة ٩٠٩ فألفى أخيه أحمد قد قتل، وتولى بعده أخوه حميسة، ثم عاد بركات إلى الإمارة، ووصله مرسوم الغوري سنة ٩١٠، وضخم ملكه وفوض إليه أمر الحجاز جميعه، ثم شاركه في الحكم ولده أبو نُميٰ وهو صغير بأمر الغوري، ولما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣، أرسل إلى الشريف بركات يطلب دخوله في الطاعة، فأجاب، وأرسل ولده أبي نُميٰ مقابل السلطان ولقي منه إكراماً، ثم أعاده إلى والده شريكاً له في الإمارة كما كان إلى أن توفي والده سنة ٩٣١، فتولاهما أبو نُميٰ منفرداً، وكانت ولادته ليلة ٩ ذي الحجة سنة ٩١١، ووفاته سنة ٩٩٢ عن ثمانين سنة. ١.هـ. وقد ذكر ابن إياس قدومه إلى مصر وعودته منها ومقابلته للسلطان سليم في حوادث سنة ٩٢٣ فقال في حوادث جمادى الآخرة منها ما نصه: «وفي يوم الأحد الخامس عشرة، حضر إلى الأبواب الشريفة ابن السيد الشريف بركات أمير مكة، وكان سبب حضوره أنه أتى ليهنىء ابن عثمان بمملكة مصر وأحضر صحبته تقادم فاخرة وحضر صحبته بيبردي بن كسباي أحد أمراء العشراوات الذي كان باش المجاورين بمكة». ١.هـ. وقال في حوادث رجب من تلك السنة: «وفي يوم الخميس رابعه خرج إلى السفر ابن السيد الشريف بركات أمير مكة فتوجه إلى وطاقه^٢ الذي بالريadianة^٣ فكان له موكب حائل، وخلع عليه السلطان قفطان^٤ تماسيح مذهب وقادمه الرماة بالنقط، وخرج صحبته غالب الحجازيين الذين كانوا بالقاهرة، وقد أشار عليه السلطان بأن الحجازيين الذين بالقاهرة تخرج صحبته إلى إستنبول، وأنشئ أن السلطان سليم شاه كتب مراسيم للسيد الشريف بركات أمير مكة بأن يكون عوضاً عن الباشا الذي بها وجعله هو المتصرف في أمر مكة قاطبة وأضاف له نظر الحسبة بمكة أيضاً وأنصفه غاية الإنصاف، وتزايدت عظمة السيد بركات الشريف إلى الغاية، وأكرم ولده غاية الإكرام».

مكانها ورسوم زيارتها

لما عاد السلطان سليم من مصر إلى القسطنطينية بهذه الآثار جعلها في مسكن الحرم بقصر طوبقو حتى هيأ لها حجرة خاصة بهذا القصر نقلها إليها ووكل بها من يقوم بخدمتها، وكان يحتفل بزيارتها مع عظماء دولته في شهر رمضان، والغالب أن يكون ذلك في منتصفه، وسن لهذه الزيارة نظاماً ورسوماً مفصلة في التواريخ التركية، ثم لما تولى السلطان مراد بن أحمد سنة ١٠٢٢ وهو المعروف عندهم بمراد الرابع نقل الآثار إلى حجرة أخرى خصّها بها في هذا القصر وأبقى نظام زيارتها كما هو، وما زال كذلك إلى أن أبطله السلطان محمود بن عبد الحميد المعروف بمحمود الثاني سنة ١٢٤٠، واستعراض عنه بنظام آخر بقي متبعاً عندهم إلى انقراض دولتهم بخلع الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز، وإخراج أسرة بني عثمان من المملكة سنة ١٣٤٢، وكانت لهم عناية كبيرة في الاحتفال بهذه الزيارة في منتصف شهر رمضان بحضور السلطان وزرائه وعظماء دولته، ويسمونها زيارة الأمانات المباركة، أو زيارة الخرقة الشريفة، أو خرقة السعادة؛ لأن بينها قطعة من ثوب يزعمون أنها البردة التي وهبها ﷺ لصعب بن زهير (رضي الله عنه)، وما زالت هذه الآثار إلى اليوم في حجرتها بهذا القصر محفوظة في صناديق من الفضة المذهبة.

بيانها

في هذه الآثار ما هو منسوب إلى النبي ﷺ وفيها ما هو منسوب إلى بعض الأنبياء عليهم السلام أو بعض الصحابة (رضي الله عنهم)، وهي كثيرة لم يذكر أصحاب التواريخ التركية إلا أهمها، وقد رأينا أن نسردها على عlatها كما سردوها، ثم نعقبها ببيان رأينا فيها، وهي:

سن من الأسنان النبوية، نعلان نبويتان، خرقة السعادة وهي على زعمهم البردة التي وهبها صل الله عليه وسلم لصعب بن زهير، حجر عليه أثر القدم الشريفة، السجادة النبوية، قبضة سيف من السيوف النبوية، القوس النبوية، اللواء النبوي، ماء من الغسل النبوى، قدر منسوبة لنوح عليه السلام، مرجل كان لخليل الله إبراهيم عليه السلام، سيف داود عليه السلام، عصا شعيب عليه السلام، قميص يوسف عليه السلام، ميزاب من الذهب كان بالكعبة المعظمة^٦، غطاء باب التوبة^٧ (ولعله حلية كانت عليه)، حلية من

الفضة كانت على مقام إبراهيم عليه السلام بالحرم المكي، قطعة من الخزف، سجادة الصديق (رضي الله عنه)، عمامات الخلفاء الأربع رضي الله عنهم وسيوفهم ورایاتهم وبساحتهم، قبضات ستة سيوف العشرة المبشرين بالجنة (رضي الله عنهم)، رأيتا الحسن والحسين عليهما السلام، سيف جعفر الطيار (رضي الله عنه)، سيف خالد بن يزيد من الصحابة (ولعلهم يريدون خالد بن الوليد رضي الله عنه) سيف شربيل بن حسنة أحد الأصحاب (رضي الله عنه)، سيف معاذ بن جبل من الأصحاب (رضي الله عنه)، تاج أوياس القرني (رضي الله عنه)، مصحف يزعمون أنه بخط الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مصحف يزعمون أنه بخط عثمان (رضي الله عنه)، مصحف بخط زين العابدين من الصحابة (ولعلهم يريدون الإمام عليًّا زين العابدين ابن الإمام الحسين عليهما السلام ولم يكن من الصحابة؛ لأنَّه ولد في خلافة جده).

هذا ما سردوه في تواريχهم في بيان أهم الأمانات المباركة، وذكروا أيضًا في كلامهم على إمارة مكة أنَّ الشريف أرسل إلى السلطان مع هذه الأمانات بمفاتيح مكة إشارة إلى دخوله في طاعته وتسلیمه البلد إليه، ويذكرون في خبر تولي السلطان مراد بن أحمد الملك سنة ١٠٣٢، وهو المعروف بمراد الرابع، أنَّهم احتفلوا في اليوم التالي ليوم مبايعته بتقلیده السيف فقلدوه سيفين أحدهما سيف نبوي والآخر سيف السلطان سليم بن بايزيد، وأنَّه لاث يومئذ على رأسه عمامة يوسف عليه السلام المجلوبة من مصر من خزانة السلطان الغوري، وكان المعروف أنَّ بين هذه الآثار شعرات نبوية سنفصل الكلام عليها في فصل الشعارات الشريفة.

حكمها

لا يخفى أنَّ بعض هذه الآثار محتمل الصحة، غير أنَّا لم نر أحدًا من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي، فالله سبحانه أعلم بها، وبعضها لا يسعنا أن نكتم ما يخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك، ولا سيما فيما نسب للأنبياء نوح والخليل وداود وشعيب ويوسف، صلوات الله وسلامه عليهم مع بُعد العهد وتقاديم الزمن، وكذلك السبح المنسوبة للخلفاء الأربع، فإنَّ السبح بهذا الشكل المعروف لم تكن حدثت في ذلك العصر، وإنما كانوا يعدون التسبيح بالأئمَّة وبالنوى والحسا وعقد العقد في الخيوط كالخيط الذي كان لأبي هريرة (رضي الله عنه)، وقد جمع الإمام السيوطي جزءًا في ذلك سماه «المنحة في السباحة» وهو مفيد فليراجع، ومما يتوقف فيه زعمهم في المصحفين أنَّهما

بخط الإمامين علي وعثمان (رضي الله عنهم)، وقد تقدم في فصل الآثار النبوية التي بمصر ذكر مصحف معها قيل إنه بخط أمير المؤمنين أيضاً، وأخر قيل إنه بخط ذي التورين، وأشارنا هناك إلى استبعادنا صحة ذلك، والله أعلم.

أما مفاتيح مكة التي ذكروها فلا ندري أرجعت أم عملت لكة مفاتيح غيرها، فإن مفاتيحها حملت إلى دار الملك مرة أخرى سنة ١٢٢٨ بعد انتزاع الحجاز من الوهابية مدة العزيز محمد علي، وكان أرسل بها مع مملوكه لطيف أغا مبشرًا بالفتح، وذكر الجبرتي خبر وصوله إلى القسطنطينية واحتفالهم به بما نصه: «عند دخوله إلى البلدة عملوا له موكبًا عظيمًا مشي فيه أعيان الدولة وأكابرها وصحته عدة مفاتيح زعموا أنها مفاتيح مكة وجدة والمدينة، وضعوها على صفائح الذهب والفضة، وأمامها البخورات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب، وخلفهم الطبول والزمور، وعملوا لذلك شنگاً ومدفع، وأنعم عليه السلطان وأعطاه خلعاً وهدايا وكذلك أكابر الدولة، وأنعم عليه الخنكار بطوخين^٨ وصار يقال له: لطيف باشا». ا.هـ.

وكانت نهاية لطيف باشا هذا أنه عاد إلى مصر مزوداً من رجال الدولة بإثارة فتنة تنزع فيها مصر من العزيز محمد علي وهو غائب بالحجاز ويولى هو عليها، فأحس بذلك محمد بك لازوغلي كتخدا مصر أي وزيرها، وتدارك أمره قبل استفحاله فقبض عليه وقتله في ذي الحجة سنة ١٢٢٨، ولهذا لما أراد خديو مصر العزيز إسماعيل بن إبراهيم إقامة تمثال لجده محمد علي بالإسكندرية وأخر لأبيه إبراهيم بالقاهرة، أقام أيضًا بالقاهرة تمثالاً لسليمان باشا الفرنساوي لتنظيمه الجيش وآخر لمحمد بك لازوغلي لحفظه مصر لهم، ولهذا جعلوه مادًا ذراعه يشير بإصبعه إلى الأرض كناءة عن تثبيته ملكهم بأرض مصر، ولم يكونوا وجدوا له صورة يصوغون التمثال عليها فأرشدتهم وقتل أحد من أدركه إلى تاجر تركي بخان الخلili يشبهه فصاغوا التمثال على مثاله، وهو قائم الآن في ميدان بشارع الدواوين يسمى بميدان لازوغلي وكانت وفاته سنة ١٢٤٣ ودفن حسب وصيته في قبة الشيخ يوسف بشارع القصر العيني عن يمين المار به إلى مصر العتيقة، ودفنت بجواره زوجته المتوفاة سنة ١٢٥٠، وليس في القبة غير هذه القبور: قبر الشيخ يوسف في الشمال، وyliee قبر المرحوم محمد بك في وسط القبة ثم قبر زوجته، وفي جنوبى هذه القبة قبة مثلاها ليس بها قبور، جعلت الآن مسجداً، وموضع التمثال لا يبعد كثيراً عن القبتين.

هوامش

(١) هو آخر الخلفاء العباسيين بمصر بل آخرهم على الإطلاق وبموته انقرضت خلافتهم من الدنيا، وكان السلطان سليم العثماني بعد فتحه مصر أخذه معه إلى دار ملكه واعتقله بها ثم عاد بعد وفاته إلى مصر وأقام بها منعوتاً بال الخليفة وبأمير المؤمنين إلى أن توفي في ولاية داود باشا سنة ٩٥٠ مما جاء في التاريخ التركي المسمى (علاوة لي أشمار التواريخ) من وفاته بالقسطنطينية ودفنه بجوار أبي أيوب الأنصاري غير صحيح فإن المدفون هناك أحد أقاربه الذين سافروا معه، وذكر قطب الدين الحنفي في الإعلام بأعلام بيت الله الحرام أن المتوكلاً هذا كان فاضلاً أدبياً وأنه اجتمع به في رحلته إلى مصر لطلب العلم سنة ٩٤٢ وأخذ عنه وأورد من شعره قوله مضمداً شطرًا من لامية الطغرائي:

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن ولا كريم إليه مشتكى حزني
 وإنما ساد قوم غير ذي حسب (ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني)

وتمامه: (حتى أرى دولة الأوغاد والسفل).

(٢) الوطاق محرف عن أوتاق وهو بالتركية الخيمة الكبيرة التي للعظماء، والمراد هنا مخيم الركب.

(٣) الريadianية شمالي القاهرة وتسمى الآن العباسية نسبة إلى عباس باشا الكبير والتي مصر المتوفى سنة ١٢٨٠ وكان بنى بها قصرًا لسكنه وثكنات للجند ومدرسة لتعلم الضباط ثم امتد عمرانها بعد ذلك واتصلت أبنيتها بالقاهرة وصارت قسماً منها.

(٤) الققطان بضم فسكون على ما تتطق به العامة بمصر لباس معروف يلبس تحت الجبة وأصله في التركية قفتان بفتح فسكون وفي الفارسية خفتان بفتح فسكون أيضاً وقد رأينا مستعملاً في عبارات المؤلفين وفيأشعار المولدين بالخاء كقول المسعودي في مروج الذهب عن يعقوب بن الليث الصفار: «وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختي» وورد كذلك في شعر السلامي والواواء الدمشقي من شعراء اليتيمة وغيرها.

(٥) تقدم في فصل البردة والقضيب أن القرمانى ذكر هذه البردة في تاريخه (أخبار الدول) وقال: إنها عند سلاطين آل عثمان يتباركون بها ويسوقون ماءها لمن به ألم فييراً بإذن الله، وأن السلطان مراداً اتخذ لها صندوقاً من ذهب تعظيماً لها وتوقيراً، وقد بينا هناك ما وقع في كلامه من الوهم عن مصير هذه البردة إلى بنى عثمان فليراجع.

- (٦) لعله مفتاح قديم لها فإن مفاتيح الكعبة عندبني شيبة، وكان يعمل لها بمصر كيس من الدبياج الأخضر المطرز يرسل به إلى مكة من الكسوة ويجدد كل سنة.
- (٧) باب التوبة بباب صغير بالكعبة المعظمة يفضي إلى سلم يصعد عليه إلى سطحها.
- (٨) الطوخ يقال له في التركية (توغ) بالتابع والغين المعجمة وهو دخيل فيها من الفارسية، وكان قدّيماً في الدولة العثمانية من الشارات الخاصة بذوي الرتب من رجالها، وهو خصلة من ذنب الفرس تعلق على رمح يرفع على رأس العظيم منهم، وكان الرسم أن يكون لأمير اللواء توغ واحد على الرمح فإذا كان أميراً للأمراء علق على رمحه توغان وكان للوزير ثلاثة وللصدر الأعظم خمسة وللسلطان في زمن الحرب سبعة.

الشعرات الشريفة

قال العلامة ابن العمgi في تنزيه المصطفى المختار: «ثبت في الصحيحين بروايات متعددة أن النبي ﷺ حلق رأسه الشريف في حجة الوداع وقسم شعره أو أمر أبا طلحة وزوجته أم سليم بقسمته بين الصحابة الرجال والنساء الشعرة والشعرتين. قال العلامة ابن حجر فيه: إنه يسن بل يتتأكد التبرك بشعره ﷺ وسائل آثاره» انتهى. وذكر القسطلاني الروايات في ذلك عن الشيختين في كلامه على حجة الوداع من المواهب اللدنية وجاء في شرحها لسيدي محمد الزرقاني أن روایات الشيختين في ذلك من طرق مدارها على محمد بن سيرين عن أنس وأنه ﷺ قسم شعره بين أصحابه ليكون بركة باقية بينهم وتذكرة لهم، وكأنه أشار بذلك إلى اقتراب الأجل، وخصّ أبا طلحة بالقسمة التفاتاً إلى هذا المعنى؛ لأنّه هو الذي حفر قبره ولحدّ له وبني فيه اللبن. انتهى. وفي كتاب الشمائل من المواهب اللدنية المذكورة ما نصه: «وعن أنس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. رواه مسلم». وفي الشرح أن ذلك كان في حجة الوداع، ثم قال في المواهب: «وعن محمد بن سيرين قال: قلت لعييدة عدنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلى من الدنيا وما فيها. رواه البخاري». وفي الشرح: أن وجه حصوله لحمد أن سيرين والده كان مولى أنس، وأنس ربّيب أبي طلحة وكان أول من أخذ من شعره كما في الصحيح. انتهى. قلنا: وسبب كونه ربّيبه أن أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنبارية كانت متزوجة بمالك بن النضر في الجاهلية فولدت منه أنساً هذا وهو خادم رسول الله ﷺ، ثم تزوجها بعده في الإسلام أبو طلحة فما أصابه ابن سيرين من الشعر الشريف إنما وصل إلى أنس مما كان عند أمه أو زوجها أبي طلحة. وفي البداية والنهاية لابن كثير عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: دخلنا على

أم سلمة فأخرجت لنا من شعر رسول الله ﷺ فإذا هو أحمر مصبوغ بالحناء والكتم. رواه البخاري. انتهى. وفي رواية أخرى أنها كانت خمس شعرات حمر. وفي حديث رواه الإمام البخاري أيضًا في باب صفة النبي ﷺ أن ربعة بن أبي عبد الرحمن رأى شعراً من شعره فإذا هو أحمر، فسأل فقيل: أحمر من الطيب. وفي الخصائص الصغرى للإمام السيوطي المسماة بأنموذج الليب أنس شعره على أصحابه، وقال في خصائصه الكبرى: «أخرج سعيد بن منصور وابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنوسة له يوم اليرموك فطلبها حتى وجدها وقال: اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه فابتدر الناس جواب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنوسة فلم أشهد قتالاً وهي معى إلا رزقت النصر». وفي فصل تحقيق الإسراء والمعراج من نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض للعلامة شهاب الدين الخفاجي أن معاوية (رضي الله عنه) كان عنده إزار رسول الله ﷺ ورداؤه وشيء من شعره وظفره فكفنا بردائه وإزاره وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه. انتهى.

قلنا: مما صح من الشعارات التي تداولها الناس بعد ذلك فإنما وصل إليهم مما قسم بين الأصحاب (رضي الله عنهم)، غير أن الصعوبة في معرفة صحيحتها من زائفها، وسنورد ما اتصل بنا من أخبارها كما بلغنا وعلى ما رأينا مسطوراً، تاركين للقراء الكرام الحكم فيها بما تطمئن إليه نفوسهم.

(١) الشعارات الواردة في الأخبار

(١-١) شعرة كانت عند المرشدي بمكة

ذكرها العلامة السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بالمرشدي المولود سنة ٧٦٣ بمكة والموفى بالمدينة سنة ٨٢٩ فقال عنه: «كان خيراً ديناً ورعاً زاهداً متجمعاً عن الناس، زار النبي ﷺ أكثر من خمسين سنة مشياً على قدميه، وكذا زار بيت المقدس ثلاث مرات ولقي بها رجلاً صالحاً كانت عنده ست شعرات مضافة للنبي ﷺ فرقها عند موته على ستة أنفس بالسوية كان هذا أحدهم كما سبق في ترجمة ولده عمر». انتهى. والصواب أنه فرقها على ثلاثة أنفس لا ستة على ما ذكره في ترجمة ولده المذكور عمر بن محمد المرشدي المتوفى سنة ٨٦٢ فإنه قال فيها:

«وكانت عنده شعرة مضافة للنبي ﷺ تلقاها عن أبيه المتلقى لها عن شيخ ببيت المقدس كانت عنده ست شعرات ففرقها عند موته بالسوية على ثلاثة أنفس هو أحدهم فضاعت شعرة منها وقد تبركت بها عنده سنة ست وخمسين». انتهى. ومراده أنه تبرك بها في مكة لما حج، ثم ورث هذه الشعرة أبو حامد المرشدي عن أبيه عمر المذكور، وذكرها السخاوي في ترجمته بالضوء اللامع في باب الكني؛ لأن كنيته اسمه وهو أبو حامد بن محمد المرشدي المولود تقريباً سنة بضع وخمسين وثمانين مائة قال السخاوي: «وهو خير متعبد زائد الفاقلة عنده شعرة منسوبة للنبي ﷺ ورثها من أبيه». قلنا: وقد زار العلامة القسطلاني هذه الشعرة وذكرها في كتاب الشمائل من المواهب اللدنية فقال: «وقد رأيت بمكة المشرفة في ذي القعدة سنة ٨٩٧ شعرة عند الشيخ أبي حامد المرشدي شاع وذاع أنها من شعره ﷺ زرتها صحبة المقام الغرسي خليل العباسي وآل الله إحسانه عليه».

(٢-١) شعرة أخرى كانت بمكة

ذكرها ابن العجمي في تنزيه المصطفى المختار نقاً عن العلامة ابن حجر الهيثمي ونص عبارته: «بمكة شعرة من شعره المكرم مشهورة تزار، واتفق الخلف عن السلف أنها من شعره ﷺ». انتهى. ولا ندرى أهي الشعرة التي كانت عند آل المرشدي أم غيرها؟ ثم استطرد إلى ذكر فتوى لابن حجر عن شعرة كانت عند أخوين آثرنا نقلها لتضمنها خبر إحدى الشعرات النبوية، ونص ما قال: «وأفاد في فتاويه أنه سُئل عن شعرة من شعر النبي ﷺ على ما قيل كانت عند أخوين يزورها الناس وما يحصل من الفتوح يقسم بينهما، ثم ماتا فهل إذا طلب ورثتهما قسمتها تقسم كما فعل بعض جدودهم ذلك وقسمها أم لا؟ فأجاب بقوله: هذه الشعرة الشريفة لا تورث ولا تملك ولا تقبل القسمة، فالمذكورون مستوون في الاختصاص بها والخدمة لها لا تميز لأحد منهم على أحد». انتهى.

(٣-١) شعرات كانت بتونس

أفادنا عنها علم من أعلام تونس الثقات، وكانت بثلاثة أماكن:
أحداها: قبر الصحابي الجليل سيدى أبي زمعة البلوي^١ دفين القิروان، وكان أخذ من الشعرات الشريفة يوم مني في عام حجة الوداع لما حلق رسول الله ﷺ رأسه، ووضعها

أبو زمعة في قلنسوته إلى أن استشهد في القيروان فدفنت معه. قلنا: وقد راجعنا ترجمته في معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للعلامة عبد الرحمن بن محمد الدباغ فرأينا بها ما نصه: «ومات بالقيروان ودفن بالبقعة التي تعرف الآن بالبلوية سميت به من ذلك الوقت، وأمرهم أن يسروا قبره ودفن معه قلنسوته وفيها من شعر رسول الله ﷺ تسلیماً، وذكره الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن رشيق في كرامات أهل إفريقية. قلت: ونعرف من حفظي أنه كان فيها ثلاثة شعرات وأنه أوصى أن تعمل شعرة على عينه اليمنى وشعرة على عينه اليسرى وشعرة على لسانه». انتهى.

الثاني: قال الوزير السراج الأندلسي ثم التونسي: تواتر الخبر بأن بدار الأشياخ بتونس شعرات من شعر رسول الله ﷺ، وهي الآن بالزاوية البرانية بخارج باب قرطاجنة المعروفة بزاوية ولی الله المرجاني، قال ابن الدباغ: أراني إياها حفيده أبو فارس عبد العزيز فتبركت بها، وبها براءة قديمة مكتوب فيها صحة كونها من شعره ﷺ، وبها أثر صفرة، قال: وكان شيخنا أبو صالح البطريني يصحح لنا كون ذلك حقاً.

الثالث: قال الوزير: ومن الأماكن أيضاً ما حدثني والدي حفظه الله تعالى أن الشيخ أبا شعرة المدفون بالزلاج وقبته معروفة، وحولها فضاء مسور به شجر زيتون، وإنما سمي أبا شعرة لقضية وهي أنه كان حرفة البناء، فقادته أزمة السعادة أنه اصططع البعض الأكابر ببناء ضخمة تجمّع له في أجرها مال ذو بال، وكان في بعض خرائط صاحب البناء شعرة من شعرات نبينا ﷺ، فقال له أبو شعرة: أعطني الشعرة الكريمة وأبرأك الله من جميع ما ترتب لي بذمتك فأعطيه إياها فأوصى بدفنتها معه، دفنت معه. تواتر النقل بذلك عند أهل تونس. انتهى.

(٤-١) شعر كان عند الخلاطي بمصر

ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته بالدرر الكامنة فقال: إنه علي بن محمد بن الحسن الخلاطي الحنفي القادوسي المتوفى سنة ٧٠٨، وكان يقال له: الركابي لزعمه أن عنده ركاب رسول الله ﷺ. قال: وكان يزعم أيضاً أن عنده من شعره. انتهى باختصار، وستأتي ترجمته بنصها في فصل الركاب النبوي.

(٥-١) شعرة كانت بمدرسة ابن الزمن بمصر

قال العلامة السخاوي في ترجمته بالضوء الامع: إنه شمس الدين محمد بن عمر بن محمد بن عمر الزمن القرشي الدمشقي ثم القاهري الشافعي المعروف بابن الزمن المولود سنة ٨٢٤ والمتوفى سنة ٨٩٧، وكان مشتغلًا كأبيه بالتجارة واجتمع بعلماء كثيرين ذكرهم، ثم قال: «وكذا لقي غير واحد من الصالحين، ووقع له مع بعضهم غرائب وكرامات انتفع بها، وأعطاه شخص منهم يسمى بيرجمال٢ الشيرازي شعرة تنسب للنبي ﷺ، وقال: إنها عنده، وكذا أحضر له من خيبر بعض الأحجار المنسوب أن بها أثر القدم الشريفة، وكتاب قيل: إنه بخط أحد كتاب الوحي، والكل محفوظ بالمدرسة التي شرع في إنشائها بشاطئ بولاق». انتهى.

(٦-١) شعرات كانت بجامع برسباي بالخانقاه

وهي قرية بمصر شمالي القاهرة على بريد منها تعرف بخانقاه سرياقوس لقربها من سرياقوس، وكان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأ في هذا المكان خانقاها للصوفية ومسجدًا وحمامًا وغير ذلك سنة ٧٢٣ ثم رغب الناس في السكنى حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت حتى صارت بلدة كبيرة ما زالت باقية إلى اليوم وتسمى بها العامة: الخانكة. ثم لما تولى السلطان الملك الأشرف برسباي التركمانى على مصر سنة ٨٢٥ وسافر إلى آمد لقتال ملكها سنة ٨٣٢ نزل بمكان خال من هذه البلدة فنذر إن أحياه الله وظفره بعده ورجع سالماً ليعمرن في هذا المكان مدرسة وسبيلاً، فلما ظفر بعده ورجع أنشأ هناك جامعاً عظيماً^٣ مفروشة أرضه بالرخام الملون، وبنى بجواره سبيلاً، قال الإسحاقي في تاريخه «لطائف أخبار الأول»: وقيل: إن بمحراب الجامع المذكور تسع شعرات من شعر النبي ﷺ، وفي معنى ذلك قال الشاعر:

بالخانقاه ليرحمه ^٤ بثوابه شعراته قد قيل في محاربه وكذا القضاة مع الشهدو ببابه	الأشرف السلطان عمر جامعاً وأتي بأثار النبي محمد وإمامه بين البرية محسن
--	--

انتهى. ولما وصل العلامة عبد الغني النابلسي إلى مصر في رحلته إليها في أوائل القرن الثاني عشر من على بلدة الخانقاه ونزل بها وذكرها في «الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز» وذكر مدرسة الأشرف برسبياً بقوله: «وفي البلدة المذكورة جامع السلطان الملك الأشرف وهو جامع عظيم، له قدر بين الجوامع جسيم، وذلك أن في محرابه شعرات مدفونة من شعرات الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد أنشدنا فيه بعض الناس من الجزل، لبعض أصحاب الرقة والغزل، قوله:

بلدة الخانقاه مذ قد تجلت
قد حلت وانجلت حلها السنية
مذ بدت في الورى عروس حلها
نقطوها الملوك بالأشرفية^{١.هـ}.

(٧-١) شعرات كانت عند منجك اليوسفي

ذكرها النعيمي في تنبية الطالب وإرشاد الدارس إلى ما بدمشق من الجوامع والمدارس في كلامه على المدرسة المنجكية التي أنشأها للحنفية الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري المتوفى بالقاهرة سنة ٧٧٦، وكان مملوكاً للناصر محمد بن قلاوون وتنقلت به الأحوال فولي عدة ولايات كنیابة طرابلس وحلب ودمشق وصفد، ثم طلب إلى القاهرة وولي نیابة المملكة إلى أن توفي بها. قال النعيمي في ذكر مناقبه: «ومن سعادته أنه ظفر بشعر من شعر النبي ﷺ فكان لا يزال معه وكان حسن الملتقي سيما لأهل العلم» ومثله في مختصر هذا الكتاب للشيخ عبد الباسط العاموي.

(٢) الشعرات الباقية إلى اليوم

(١-٢) شعرات المسجد الحسيني بالقاهرة

منها الشعتران اللتان كانتا مع الآثار النبوية بقية الغوري، ونقلتا معها إلى هذا المسجد، وهما في زجاجة محفوظة في صندوق صغير من الفضة ملفوف بلفافة من الديباج الأخضر المطرز، وقد تقدم ذكرهما في فصل الآثار التي بمصر، ثم أضيفت إليهما شعرة كانت عند أحمد طلعة باشا، وكان من رجال مصر المشهورين ومن الكتاب الجيدين الإنشاء باللغة التركية، تولى رئاسة الديوان الخديوي مرات مدة والي مصر محمد سعيد والخديوي

إسماعيل وابنه الخديوي توفيق وكان دخوله في الخدمة في ١٦ جمادى الأولى سنة ١٢٥٤ زمن العزيز محمد علي واستقال في جمادى الأولى سنة ١٣٠١ فأقيل مكرماً ورتب له المرتب الكافي فأقام في داره بشارع السيوفية بالقاهرة مقبلًا على العبادة والأعمال الصالحة إلى أن توفي يوم الأحد ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢، وكان المشاع على الأفواه أن هذه الشعرة حباه بها السلطان في إحدى سفراته إلى القسطنطينية موFDA من الخديو لتسوية بعض الأمور، ولكن الحق عند أسرته أنها أهديت إليه من إحدى الحجازيين على أنها من الشعر الشريف فعوضه عنها شيئاً كثيراً، ولما توفي اتفق بنوه على إهدائهما للمسجد الحسيني لتحفظ فيه مع الآثار النبوية، وكانت محفوظة عندهم في قارورة فتبرعت لها السيدة خديجة كبرى بناته بصندوق من الفضة وضعت فيه الزجاجة ولف بسبعين لفائف من الديباج الأخضر، ثم حملت بالتعظيم والإجلال إلى المسجد فحفظت فيه مع الآثار وهي مجهرولة المصدر لا يعلم من أين وقعت لهذا الحجازي. وفي سنة ١٢٤٠ أو ١٢٤١ أضيفت إليها شعرات كانت بالرباط المعروف بتكية^٦ الكاشنی بشارع تحت الربع في قارورة مختومة بالشمع الأحمر ومحفوظة في صندوق من الخشب والزجاج موضوع في خزانة من الخشب والزجاج أيضاً من الصناعة العربية البديعة، فرأى وزير الأوقاف نقلها إلى المسجد الحسيني وحفظها مع الآثار النبوية فنقلت، وأمرها أيضاً مجھول لا يعلم من أين أنت للرباط، ثم في شوال سنة ١٢٤٢ أحضرت الحاجة ملكة حاضنة الأمير كمال الدين ابن السلطان حسين سلطان مصر الساكنة بشارع البتديان بالقاهرة قارورة صغيرة إلى المسجد الحسيني وأخبرت أن بها شعرات من اللحية النبوية الشريفة، وأنها تريد إهداءها لتحفظ مع الآثار فأجابت إلى ذلك، وكانت القارورة ملفوفة بقطعتين من الديباج الأخضر وموضوعة في صندوق صغير مكسو بالملحم الأحمر وملفوف بثلاث لفافات من الديباج الأخضر ثم بلفافة من المحمل البنفسجي مطرزة الحواشي، وهي خمس شعرات على ما يقال مجھولة الأصل أيضاً.

(٢-٢) شعرة رباط النقشبندية بالقاهرة

المعروف بتكية النقشبندية بشارع درب الجماميز عن يسار السالك به من ميدان باب الخلق وهي من إنشاء والي مصر عباس باشا الكبير، وسبب إنشائها أنه كان عظيم الاعتقاد في الشيخ محمد عاشق النقشبndي فطلب منه أن يبني له ولصوفيته مكاناً للسكن والعبادة فبني لهم هذه التكية سنة ١٢٦٨، وجعل بها مصلى وحجرًا للصوفية

وداراً لشيخهم وأنشأ بها حديقة ووقف عليها أوقافاً كثيرة، ثم لما توفي الشيخ محمد عاشق المذكور سنة ١٣٠٠ دفن بها في مقصورة ولم يعقب ذكرًا فتولى عليها سبطه السيد عثمان خالد وما زال بها إلى الآن، وكانت والدة عباس باشا المذكور لما حجت أحضرت معها من الحجاز شعرة أهدت إليها على أنها من الشعر الشريف، فلما حضرتها الوفاة سلمتها للشيخ محمد عاشق وطلبت منه حفظها بالكتيبة ليتبرك الناس بها، وهي ملصقة بقطعة من الشمع ومحفوظة في ثلاثة صناديق صغيرة الواحد داخل الآخر، وكان الشيخ يحتفل بإخراجها في ليلة المولد النبوي وليلة الإسراء ويدعو لذلك العلماء وكبار رجال الدولة والأعيان ويولم لهم، ثم يخرجها من الصناديق ويمسح بها على جفونهم ويناله منهم الشيء الكثير، ثم بطل هذا الاحتفال بعد موته وجعلها سبطه بصناديقها في صندوق أكبر منها علقه على المقصورة التي بها قبر جده، وهي باقية إلى اليوم كذلك.

(٣-٢) شعرات القسطنطينية

أفادنا صديقنا العلامة السيد عبد الله مخلص^٧ المقيم الآن بحيفا أنها كانت يوم تولي السلطان محمد رشاد بن عبد المجيد المعروف بمحمد الخامس^٨ ثلاثًا وأربعين شعرة محفوظة مع الأمانات المباركة، وأنه أهدى منها إلى بعض المدن بالملكة العثمانية أربعاً وعشرين وبقي تسع عشرة يرجح أنها باقية إلى اليوم؛ لأن الفترة التي تلت موت رشاد وتولى فيها وحيد الدين ثم عبد المجيد كانت فترة قلقل وفتن، ثم تلاها عصر إلحاد ومرورق من الدين ويبعد أن يفكر أحد في هاتين المدتتين في الآثار النبوية وإهداء الشعرات الشريفة منها. قلنا: وقد علمنا أن السلطان رشادًا أهدى ملكة بهوبال شعرة منها أيضًا، فيكون الباقى الآن ثمانى عشرة، والله أعلم.

(٤-٢) شعرات أخرى بالقسطنطينية

كان المعروف أن بعض مساجدها شعرات مفرقة بينها غير التي بالأمانات المباركة، وقد نقلت ثلث منها إلى ثلاث مدن بفلسطين كما سيأتي، وأخبرنا أستاذنا العلامة الأكبر الشيخ عبد الرحمن قراعة الذي كان مفتىً بالملكة المصرية عن المولى نوري أفندي آخر قضاة الدولة العثمانية بمصر أنه كان عنده شعرات نبوية، قال: وأظنه أخبرني أنها ثلاثة كانت متواترة في أسرة والدته وكانت خالتة آخر من كان يحفظها منهم، ثم رأته أجدر

بها منها فسلمتها إليه ليقوم بحفظها في حياته وتبقى في أسرته من بعد، ولا يعلم الآن عن هذه الشعرات ولا عن حافظها شيء وكان آخر العهد به حين فصلته الدولة المصرية عقب وقوع الحرب العظمى وسفرته مع أسرته إلى القسطنطينية، وبلغنا أنه جعل هناك شيئاً للإسلام ثم لم نسمع عنه شيئاً، ولاسيما بعد الانقلاب الكمالى الذي انتهكت فيه حرمة الدين وعلمائه.

(٥-٢) شعرة المشهد الحسيني بدمشق

الملاصق للجدار الشرقي لصحن المسجد الأموي وقد سألنا عنها الصديق العلامة الأستاذ كمالاً القصاب الدمشقي نزيل حيفا الآن، فأجابنا بما أفاده عنها أخيه الفاضل السيد سعيد الحمزاوي وهو ما أخبره به عن ابن عمه السيد حسين الحمزاوي عن أبيه السيد عبد الكريم الحمزاوي أن هذا المشهد كان متهماً تكتفه أطلال بالية فزاره وإلى دمشق الوزير فؤاد باشا سنة ١٢٧٨ وسعى لدى السلطان عبد العزيز في تعميره وجعل الدار المجاورة له تكية باسم المقام يطعم فيها الطعام كل يوم بعد العصر، وطلب من علماء دمشق انتخاب مشرف للمقام ومشرف للتکية من أهل الصلاح والعلم، فاختاروا السيد سليمان الحمزاوي والد السيد عبد الكريم المذكور والأخ الأكبر للسيد محمود الحمزاوي مفتى الشام، مشرفاً على المقام لصلة نسبه بصاحب الإمام الحسين عليه السلام وانتخبوا الشيخ محمد العاني مشرفاً على التکية، إلا أن التقليد السلطاني جاء باسم السيد خلوصي القادري من أهل القسطنطينية بدلاً من العاني، ثم إن السلطان عبد العزيز أرسل بشعرة من الآثار النبوية لتحفظ بهذا المقام فحافظت فيه وما زالت إلى اليوم يحتفل بإخراجها في العام مرة واحدة في ليلة ٢٧ رمضان ويزورها الناس بعد صلاة التراويح فيقرأ القراء ثم يسارعون في الصلاة على النبي ﷺ ويخرجها المشرف فيتبرك الحاضرون بتقبيلها وهي بيده، وذكر الصلاة مستمر إلى أن تنتهي الزيارة فتعد إلى لفائفها وصناديقهم وترفع إلى مكانها وفي هذا المقام لوح معلق بالجدار مكتوب فيه هذه الأبيات:

على قبة الأفلاك تشمخ قبة من أركانها نور النبوة بادي
حوت رأس مولانا الحسين ونجله بها عبد الباري لنيل مراد

بنها و هي حتى الوقت أرخوا و جدها فضل الوزير فؤاد

١٢٧٨

(٦-٢) شعرة مقام التوحيد بدمشق

وهو المقام المنسوب للسيد سعد الدين الجباوي (رضي الله عنه) سأله عنها السيد سعيد الحمزاوي الشيخ بدر الدين السعدي شيخ هذا المقام فأخبره أن والده الشيخ إبراهيم سعد الدين تشرف بهذه الشعارة بالنقل عن والده الشيخ محمد سعد الدين، وهو تلقاها وتشرف بها عن والده الشيخ محمد الأمين الشهير ببني سعد الدين، وهكذا بالتلسلل عن جدهم، وأوقات زيارتها يوم المولد النبوى وليلة العراج وليلة ٢٧ رمضان وهو ما كان عليه عمل الأجداد والأسلاف، وفي هذه الشعارة يقول الأستاذ الأكبر العلامة السيد محمود الحمزاوى مفتى الشام المتوفى سنة ١٣٠٥ :

شرف المحل بقدر من قد حله أمر بديهي الثبوت بلا خفا
ولذلك المحراب فخر شامخ إذ حل فيه شريف شعر المصطفى

وقد نقشا على العتبة العليا من مقام هذه الشعارة سنة ١٢٩٢، وكان رحمة الله يتولى إخراجها في المواسم فيزورها الحاضرون وهي بيده ثم يعيدها إلى لفائفها ويرفعها إلى مكانها.

(٧-٢) شعرة بيت المقدس

لها خازن خاص غير الخطيب والإمام، والراجح أنها جلبت إليها قديماً، وخازنها اليوم من أسرة الشهابي، وميعاد زيارتها في ٢٧ رمضان.

(٨-٢) شعرتان بعكا وحيفا

من البلاد الفلسطينية، وكانتا بالقسطنطينية من شعرات الأمانات المباركة، فأهداهما السلطان محمد رشاد لهذين البلدين، فحفظت إداحتها بمسجد أحمد باشا الجزار بعكا، والثانية بالجامع الكبير بحيفا، ويعاد زيارتها في ٢٧ رمضان.

(٩-٢) ثلاث شعرات بصفد وطبرية والناصرة

من البلاد الفلسطينية، وكانت مفرقة ببعض مساجد القسطنطينية، ونقلت إلى هذه البلاد بأمر السلطان محمد رشاد، فحفظت واحدة بمسجد غار يعقوب بصفد، والثانية بالمسجد العمري بطبرية، والثالثة بالمسجد المنسوب لعلي باشا بالناصرة، وعلى باشا هذا هو والد عبد الله باشا والي صيدا الذي أسره إبراهيم باشا ابن العزيز محمد علي في إغارتة على البلاد الشامية، ثم سرقت شعرة الناصرة من المسجد إبان الحرب العظمى التي بدأت في أواخر سنة ١٣٣٢ هـ، والسبب في نقل هذه الشعرات الثلاث من المساجد أن السلطان رشاد لما أهدى الشعرتين لعكا وحيفا طلب أهالي هذه البلاد الثلاثة إهداءهم أيضًا من هذه الشعرات للتشرف والتبرك بها، فأمر بأدائها لهم من التي بالمساجد؛ لأنه خشي من موalaة الإهداء من شعرات الأمانات أن تقل ثم لا يبقى منها شيء، وجميع الشعرات المهداة من هذا السلطان جعلت في أنابيب من الزجاج ترى منها بالعين في غاية الوضوح، وكل أنبوب ملفوف بأربعين قطعة من الحرير مختلفة الألوان وموضع في صندوق صغير يحفظ طول السنة في خزانة من الحديد، ويعاد زيارتها كل عام في ٢٧ رمضان بعد صلاة العصر.

(١٠-٢) شعرتان بطرابلس الغرب

أفادنا عنهما حضرة الفاضل الشيخ الطاهر أحمد الطرابلسي الزاوي نسبة إلى الزاوية الغربية، وهي حوزة بطرابلس الغرب تجمع عدة قرى؛ إداحتها: بمدينة طرابلس بجامع طور غود باشا في مقصورة غاية في الحسن بالجهة الشرقية من الجامع عن يسار الداخل، وهي في قارورة من زجاج مستديرة ملفوفة بقطع من الحرير ومحفوظة في صندوق من الآبنوس، ويحتفل بزيارتها في ليلة النصف من شعبان وليلة المراج، فيتهافت الناس على تقبيلها للتبرك، والمتولى بالإشراف عليها نقيب الأشراف، وهو الذي يحملها بيده ويناولها

للزائرين، وله مرتب من الأوقاف على ذلك، ويقال: إنها كانت بالقسطنطينية، فنقلها أحمد راسم باشا إلى طرابلس. والثانية: ببني غازي في جامع راشد باشا المشهور بجامع عثمان، وقد نقلت إليه من الجامع الكبير، وجعلت في مقصورة بأعلى الجامع من الداخل في الجانب الشرقي، وهي أيضاً في زجاجة ملفوفة بلفائف من الحرير، ومحفوظة في صندوق من الآبنوس، ويحتفل بزيارتها في الموسم المتقدم ذكرها، ويتولى الإشراف عليها المفتي.

(١١-٢) شعرة في بهو بالمهند

أهداهما السلطان محمد رشاد ملكة بهو بالسلطان جهان بيكم^١ بنت ملكتها شاه جهان بيكم، لما زارتة في رحلتها إلى أوربة والقسطنطينية. أخبرنا الأديب الفاضل السيد أبو النصر أحمد البهوي^٢ نزيل القاهرة، أنها لما عادت إلى بهو بال، احتفلت بنقل هذه الشعرة إلى الجامع الأعظم لتحفظ به، فوضعت بلفائفها في صندوق ثمين حمله ولدها ملك بهوبال الآن على رأسه، فتكأأ الناس عليه للتبرك بلمس الصندوق ولم يخلص إلى المسجد إلا بعسر، ثم إنهم احتفلوا بزيارة هذه الشعرة بالمسجد مرة واحدة، ثم أبطلت الزيارة لاعتراض بعض العلماء وبقيت في صندوقها محفوظة بالمسجد إلى اليوم.
هذا ما تيسر لنا الوقوف عليه من خبر الشعرات المنسوبة إلى سيد الوجود عليه السلام، والله سبحانه أعلم بالصحيحة منها وغير الصحيحة.

هوامش

(١) اسمه عبد غير مضاد إلى الله، وقيل: عبيد بالتصغير ابن أرقم البلوي ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وابن الأثير في أسد الغابة في عبد وفي عبيد، قالا: وهو مشهور بكنيته. ثم ترجماه في الكنى. وقال الحافظ ابن حجر: وقيل: اسمه عبيد بن آدم، والذي في معالم الإيمان عبيد الله بن آدم.

(٢) البير بكسر الباء الأعمجية يطلق على الشيخ المسن في التركية، وهو دخيل فيها من الفارسية، ويطلق أيضاً على الشيخ من مشايخ الصوفية الأعاجم وهو المراد هنا.

(٣) كانت دروس العلم تلقى بالمساجد وما خصص منها لذلك كان يعبر عنه تارة بالمسجد وبالجامع وتارة بالمدرسة.

(٤) سكن آخره لضرورة الوزن.

(٥) قوله (نقطوها) أتى بها على لغة أكلوني البراغيث، وفي بعض كتب الأدب (نقطتها) والتنقيط عند العامة إهداء التحف للعروس ليلة عرسها والإنعم على المغنين بالجوائز والاسم منه النقطة بضم فسكون. وفي قوله الأشرفية تورية؛ لأنها كما يراد بها المدرسة الأشرفية فإنها كانت تطلق أيضاً على دنانير أحدها الملك الأشرف برسبياي سنة ٨٣١ ثم تساهلوا بعد ذلك في التعبير عن كل دينار بالأشريفي منسوباً إلى صاربه كالأشريفي الغوري والأشرفي السليمي، وأطلق أيضاً على نوع من الراهم، وقد حرفته العامة فقالت: فيه (شريفي) بكسر أوله وثانية وكانوا يعبرون به عن الدينار إلى أوائل القرن الماضي ثم لم يبق له ذكر إلا في أقصاص العجائز.

(٦) التكية رباط الصوفية وكانت يسمونها بالخانقا، وهي في لغة عامية مصر بفتح التاء وكسر الكاف وفتح الياء المشددة وفي اللغة التركية والفارسية بفتح التاء وسكون الكاف وفتح الياء المخففة، وقد يحرفها الأتراك فيقولون فيها تكه بفتحتين بلا ياء.

(٧) وهو حفظه الله وأدام النفع به الذي أفادنا أيضاً عن الشعرات التي ببعض البلاد الفلسطينية الآتي بيانها.

(٨) ولد سنة ١٢٦٠ وتولى الملك بعد أخيه السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢٧ وتوفي سنة ١٣٣٦.

(٩) سلطان جهان اسمها ومعناه سلطانة العالم، وكذلك اسم أمها شاه جهان معناها سلطانة العالم أو ملكة العالم، وأما بيكم فلقب تكريم يذكر بعد الاسم ومعناه الأميرة؛ لأنه مؤنث بيكم بمعنى أمير، وهو الذي تقول فيه عامية مصر (بيه) بالباء بدل الكاف وبالإمالة، ومثل بيكم خانم فإنه مؤنث خان بمعنى الحاكم أو الأمير أو السيد العظيم وما زال مستعملاً بمصر لقب تكريم لنساء الأسر الرفيعة يلحق بأسمائهن، غير إنهم قلبو خاءها في النطق فقالوا فيه هانم، وهذه الميم علامة للتأنيث في التركية تلحق ببعض الكلمات.

العلم النبوى

كان لرسول الله ﷺ عدة ألوية ورایات، منها ما كان خاصاً، ومنها ما كان يعقده لأمراء جيوشه وسراياه، وقد تبعنا ما ورد عنها في التاريخ فلم نعثر على ذكر شيء منها بقي بعد زمن النبوة إلا ما يذكره عن الرأبة المسممة بالعقاب، وهذا ما وقنا عليه عنها: جاء في مادة (عقب) من لسان العرب: «والعقاب علم ضخم، وفي الحديث أنه كان اسم رايته عليه السلام العقاب، وهي العلم الضخم، والعرب تسمى الناقة السوداء عقاباً على التشبيه، والعقاب الذي يعقد للولاة شبه بالعقاب الطائر، وهي مؤنثة أيضاً». ا.هـ. وقال ابن سيد الناس في سيرته المسممة بعيون الأثر في باب ما كان لرسول الله ﷺ من السلاح والدروع والرايات ما نصه: «ورأية سوداء مربعة يقال لها العقاب، ورأية بيضاء يقال لها الزينة وربما جعل فيها الأسود. وروى أبو داود في سننه من حديث سماك بن حرب عن رجل من قومه عن آخر منهم، قال: رأيت رأية رسول الله ﷺ صفراء». وروى أبو الشيخ بن حيان من حديث ابن عباس قال: كان مكتوب على راياته: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقال الحافظ الدمياطي: قال يوسف بن الجوزي^٣ روى أن لواء^٤ أبيض مكتوب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله». ا.هـ.

وفي الكامل لابن الأثير ومعجم البلدان لياقوت أن خالد بن الوليد (رضي الله عنه) لما سار من العراق لفتح الشام ووصل إلى الثنية المشرفة على غوطة دمشق كان ناشراً رايته، وهي رأية كانت لرسول الله ﷺ تسمى العقاب، فوقف عليها ساعة فسميت ثنية العقاب، وقيل: سميت بعقاب من الطير سقطت عليها والأول أصح. انتهى ملخصاً منها. وجاء عنها في آثار الأول في ترتيب الدول أنها كانت سوداء وأنها ركزت على جبل دمشق على الثنية فسميت بها وهي ثنية العقاب. وفي تاريخ اليعقوبي ما نصه: «روى بعضهم

أن خالد بن الوليد سار إلى غوطة دمشق ثم فرعها إلى ثنية ومعه راية بيضاءٌ تدعى العقاب فيها سميت ثنية العقاب».

قلنا: ومن عند خالد بن الوليد انقطع خبر هذه الراية في التاريخ، فلم نقف على انتقالها أو انتقال غيرها من الرايات النبوية إلى أحد من الخلفاء أو الملوك سوى ما يدعى به الترک في اللواء المحفوظ مع الآثار القسطنطينية وما رواه الجبوري عن لواء آخر سمه العامة بمصر بالبيرق النبوی.

لواء القسطنطينية

تقدم في الآثار التي بالقسطنطينية ذكر لواء زعموا أنه من الألوية النبوية، وقد بينا هناك أن في هذه الآثار ما يحتمل أن يكون صحيحاً، وإنما توافقنا فيها لأننا لم نر لها ذكراً في رواية لأحد الثقات يمهد للنفس سبيل الاطمئنان إليها، ولم يفصح مؤرخو الترک عن لون هذا اللواء ولا ذكرروا شيئاً من صفتة ولا ما كتب عليه، وإنما يروون من خبره أنبني عثمان كانوا يحرضون عليه حرصهم على بقية الأمانات المباركة، وأنهم اضطروا إلى إخراجه ونشره في بعض الفتنة ليتألفوا به الأمة كما حدث في قيام اليكيرجية على السلطان أحـمـد بن محمد المعـرـوف بأـحمدـ الثـالـثـ المتـولـيـ سنـةـ ١١١٥ـ فإـنهـ اضـطـرـ إلىـ إـخـرـاجـهـ وـرـكـزـهـ بـبـابـ الـقـصـرـ وـبـيـثـ المـنـادـيـ فـيـ الأـهـالـيـ بـالـاجـتمـاعـ عـنـدـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـوـقـعـ فـيـ قـمـعـ الـفـتـنـةـ وـأـنـتـهـيـ الـأـمـرـ بـخـلـعـهـ، وـحـدـثـ فـيـ قـيـامـ الـيـكـيـرـجـيـةـ عـلـىـ السـلـطـانـ سـلـيـمـانـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ الـمـتـولـيـ سنـةـ ١٠٩٩ـ بـسـبـبـ نـفـقـةـ الـبـيـعـةـ أـنـ أـحـدـ الـتـجـارـ مـنـ نـهـبـتـ أـمـتـعـتـهـ أـرـادـ أـنـ يـحـتـالـ فـيـ تـأـلـيـبـ الـعـامـةـ عـلـيـهـ فـعـدـ إـلـىـ رـمـحـ عـقـدـ عـلـيـهـ شـقـةـ مـنـ الـبـزـ الـأـبـيـضـ مـوـهـمـاـ أـنـ الـلـوـاءـ الـنـبـوـيـ أـخـرـجـ مـنـ الـقـصـرـ، وـتـسـامـعـتـ الـعـامـةـ بـهـ فـتـجـمـتـ وـلـتـفـتـ حـولـهـ، وـلـمـ أـرـادـ السـلـطـانـ مـحـمـودـ عـبـدـ الـحـمـيدـ الـمـلـكـ بـالـثـانـيـ إـبـادـةـ الـيـكـيـرـجـيـةـ وـتـخـلـيـصـ الـدـوـلـةـ مـنـ أـذـاـهـمـ اـضـطـرـ إـلـىـ إـخـرـاجـ الـلـوـاءـ مـنـ الـأـمـانـاتـ لـيـقـويـ بـهـ نـفـوسـ شـيـعـتـهـ وـيـكـثـرـ سـوـادـهـمـ بـمـنـ يـلـتـفـتـ مـنـ الـعـامـةـ حـولـهـ، قـالـ الـمـوـلـىـ مـحـمـدـ أـسـعـدـ قـاضـيـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ فـيـ كـتـابـهـ (أـسـ ظـفـرـ)ـ الـذـيـ أـلـفـهـ بـالـتـرـكـيـةـ فـيـ هـذـهـ الـحـادـثـةـ:ـ إـنـ السـلـطـانـ لـمـ أـرـادـ الزـحـفـ عـلـيـهـ أـخـرـجـ الـلـوـاءـ الـنـبـوـيـ مـنـ حـجـرـ الـخـرـقـةـ الـشـرـيفـ وـسـلـمـهـ لـلـصـدرـ الـأـعـظـمـ وـشـيخـ الـإـسـلـامـ وـقـدـ فـصـلـ غـيـرـهـ مـنـ مـؤـرـخـيـ الـترـکـ هـذـاـ الـخـبـرـ بـأـنـهـ لـمـ أـلـعـنـواـ بـالـعـصـيـانـ أـسـرـعـ الصـدرـ الـأـعـظـمـ وـعـلـمـاءـ الـدـوـلـةـ وـكـبـارـهـاـ إـلـىـ قـصـرـ بـشـكـطـاشـ مـقـرـ السـلـطـانـ وـأـعـلـمـوهـ بـالـخـطـبـ وـأـنـتـقـلـواـ مـعـهـ إـلـىـ قـصـرـ طـوـبـقـبـوـ الـذـيـ بـهـ الـأـمـانـاتـ وـتـضـرـعـواـ إـلـيـهـ بـإـخـرـاجـ الـلـوـاءـ الـشـرـيفـ فـاسـتـعـظـمـ الـأـمـرـ وـتـمـنـ خـشـيـةـ مـنـ عـطـبـ

يصيبه ثم ما زالوا به حتى رضي وذهب إلى حجرة الأمانات فأخرجه وحمله إليهم وهو يبكي وسلمه للصدر الأعظم وشيخ الإسلام فذهبوا به إلى آت ميدان^٦ ومعهما المدفعية من جنود النظام الجديد لقتال أولئك البغاة ولما وصلوا إلى الميدان تقدم قاضي إستنبول وصاح قائلاً: من اختار اليكيرجية فلينذهب إلى مراجلهم^٧ ومن اختار الإسلام فليضو إلى السننق الشريف^٨ فأسرع أغلب الناس للانضمام إلى اللواء، ثم أطلقت المدفع على اليكيرجية وثكنتهم فهدمت عليهم وكتب إلى الولايات بإبادتهم فأبىدوا عن آخرهم، وقد وهم البستانى في دائرة المعارف ومحمد فريد بك في تاريخ الدولة العثمانية في زعمهما أن السلطان سار بنفسه مع جند المدفعية إلى آت ميدان وهو قول لم يقله أحد من مؤرخي الترك ولاسيما المشاهدين منهم للحادثة، والصواب أنه بقي بالقصر وأرسل الصدر الأعظم وشيخ الإسلام واللواء والجنود كما ذكرنا.

اللواء الذي سموه بمصر البيرق النبوى^٩

وهو علم كبير من الأعلام التي كانت بالقلعة أخرجه السيد عمر مكرم نقيب الأشراف لل العامة عند قيامهم لدفع الفرنسيس عن القاهرة فسموه بالبيرق النبوى، والظاهر أن بعض قادتهم اختلق لهم ذلك ليزيد في تحمسهم فاعتقدوه، وملخص خبر هذه الواقعة أن الفرنسيس لما قصدوا الاستيلاء على مصر سنة ١٢١٣ كان عليها وال عثماني ليس له من الأمر شيء على عادة ولاتهم بها، وكان يحكمها كبار من الجراكسة مشاركة وهما إبراهيم بك الكبير ومراد بك، والتصرف في أغلب الأمور لمراد بك، وكان آخر رهقاً من شر أمرائهم وأضرارهم بظلم الرعية وأجيتهم عند اللقاء، فمن مساويه في ذلك أنه خرج قبل مجيء الفرنسيس للتنزه في الريف أي الوجه البحري فعاش فيه وأفحش في القتل والنهب وإحراق القرى وتشتيت سكانها، ثم عاد إلى القاهرة ظافراً مملوءاً الوفاض بالغنائم بعد أن غادر أكثر قراه ببابا فلم يلبث أن بلغه نباء احتلال الفرنسيس للإسكندرية في المحرم من تلك السنة وشروعهم في الزحف على القاهرة، فخرج إليهم بجنوده من الجراكسة وغيرهم وأتلقى بهم جهة الرحمنية بالبحيرة فلم تكن غير مناوشات هينة نكس فيها على عقبيه إلى جهة إمبابة بالشاطئ الغربي للنيل تجاه القاهرة، وأخذ يتحصن بها فلتحقه الفرنسيس فلم يقو على لقائهم وانهزم هو وجنه في أقل من ساعة وفر إلى الصعيد وفرَّ إلى الولي العثماني وإبراهيم بك إلى جهة الشام وتشتت بقية الأمراء وتركوا الشياه للذئاب، وكان أهالي القاهرة قاموا قياماً محموداً أبانوا فيه عن نخوة وحمية وسخاء بالنفوس

والأموال وساروا إلى بولاق بالشاطئ الشرقي لمساعدة الجنود فلما وقعت الهزيمة حوَّل الفرنسיס الرمي إلى هذا الشاطئ فشتبهوا ودخلوا القاهرة يوم الثلاثاء العاشر من صفر.

وهذا نص ما ذكره الجبرتي عن قيام الأهالي ومسيرهم بهذا العلم إلى بولاق قبل ذلك بأسبوع، أي: في يوم الثلاثاء ٣ صفر سنة ١٢١٣: «وفي يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للتداريس وكرروا المناداة بذلك كل يوم فأغلق الناس الدكاكين والأسواق وخرج الجميع لبر بولاق فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدرام من بعضهم وينصبون لهم خياماً أو يجلسون في مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدرام التي جمعوها من بعضهم، وبعض الناس يتطوع بالإتفاق على البعض الآخر ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك، بحيث إن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما في قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بإتفاق أموالهم فلم يشح في ذلك الوقت أحد بشيء يملكه، ولكن لم يسعفهم الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الأشائر بالطبلول والزمور والأعلام والكتاسات وهم يضجرون ويصيحون ويدركون بأذكار مختلفة، وصعد السيد عمر أفندي نقيب الأشراف إلى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيراً سُمِّته العامة البيرق النبوى فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله ألف من العامة بالنبابيت والعصي يهاللون ويكتبون ويكترون من الصياح ومعهم الطبلول والزمور وغير ذلك». ا.هـ.

قلنا: وما زال في عوام المصريين من يعتقد بأن العلم العثماني ذا الهدال والنجم متخذ على مثال العلم النبوى، ولهذا تضاعف تألهما لما غير في مصر بالعلم ذي الأهلة والأنجام الثلاثاء بعد إعلان انفصالها من الدولة العثمانية إبان الحرب الكبرى الواقعة أواخر سنة ١٢٣٢هـ ولعل منشأ هذا الاعتقاد ظنهم أن شارات دولة الخلافة تقبيس عادة من شارات نبوية، على أنهم في ذلك ليسوا بأوغل في الوهم من كثير من خاصة المسلمين وعامتهم في عدم الهدال رمزاً دينياً له عند المسلمين ما للصلب عند النصارى، وما كان قط كذلك، وإنما حبب إلى مسلمي العصور الأخيرة وعظم لديهم لكونه شارة للعلم في آخر دولة أدركوها من دول الخلافة.

هوامش

- (١) في حاشية البرهان الحلبي على هذه السيرة ما نصه: «انفرد به أبو داود وأخرجه في الجهاد».
- (٢) في حاشية البرهان الحلبي أن المراد الواعظ المؤرخ أبو المظفر يوسفالمعروف بسبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان المتوفى سنة ٦٥٤.
- (٣) ذكر البرهان الحلبي عن أبي ذر الفرق بين اللواء والراية بأن اللواء ما كان مستطيلاً والراية ما كان مربعاً.
- (٤) شذ العيقوبي في جعلها بيضاء، فإن من ذكر لون العقاب من المؤرخين ذكر أنها كانت سوداء.
- (٥) اسم هذا الكتاب تاريخ بالجمل للحادثة أي سنة ١٢٤١ وقد طبع بالقدسية سنة ١٢٤٣.
- (٦) أت ميدان بتقديم المضاف إليه على المضاف كالقاعدة في التركية معناه ميدان اللحم؛ لأنهم كانوا يوزعون فيه اللحم على اليكيرية وكانت ثكنتهم مطلة عليه وقد أورده بهذا المعنى شمس الدين سامي في معجمه التركي ولكنه أورده في قاموس الأعلام بلفظ (آت ميدان) بمد أوله على أن معناه ميدان الخيل؛ لأنهم كانوا يروضون فيه المهاجرين ويدربونها.
- (٧) كان من عادة اليكيرية عند العصيان أن يقلبوا في الميدان مراجلمهم التي يطخون فيها طعامهم لأنهم يشيرون بذلك إلى رفضهمأكل طعام الدولة وخدمتها.
- (٨) السنحاق أو السنحاق في التركية اللواء وكان يطلق في مصر على الكبير الحائز لرتبة أمير اللواء من أمراء الجراكسة الذين كانوا يحكمونها مدة العثمانيين، والظاهر أن أصله أمير سنحاق ثم خف بحذف جزئه الأول، كما يقال الآن للباشا من الجندي لواء وأصله أمير لواء.
- (٩) البيرق لفظ تركي وأصله في هذه اللغة بيراق أو بإيراق ومعناه اللواء والراية.

الركاب النبوى

لم نقف إلا على خبر ركابين قيل: إنهم نبويان؛ أحدهما: كان عند علاء الدين الخلاطي. والثاني: كان عند الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي من ذرية صلاح الدين الكبير. أما الأول فمذكور في ترجمة الخلاطي بالدرر الكامنة لحافظ ابن حجر العسقلاني، ونصها: «علي بن محمد بن الحسن الخلاطي الحنفي علاء الدين الملقب بالقادوسى^١ لطول تكوير عمامته، ويعرف أيضًا بمزلقان، وكان يقال له: الركابي لأنه كان يزعم أن عنده ركاب رسول الله ﷺ، وكان يزعم أيضًا أن عنده من شعره، وتفقهه واشتغل وتقدم ودرس بالظاهرية وولي إمامتها، وهو أول من أَمَّ بها ودرس بالديلمية، وكتب على الهدایة شرحاً، وناب في الحكم عن معز الدين نعман بالحسينية، ومات في النصف من جمادى الأولى سنة ٧٠٨^٢.».

وأما الثاني فرأيته مذكوراً في جزء عندي قديم الخط من تاريخ بغداد لم أعرف اسمه ولا اسم مؤلفه، جاء فيه في حوادث سنة ٦٥٣ ما نصه: «وفيها أرسل صلاح الدين بن أيوب صاحب دمشق وحلب إلى الخليفة المستعصم رسولاً معه فردة ركاب كبيرة من حديد قد ذكر أنها ركاب النبي ﷺ، وأنها عندبني أيوب يحفظونها كما يحفظ بنو العباس البردة الشريفة، فقبلها الخليفة وجعلها في خزانته مع البردة والقضيب^٢، فأنشد أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد ارتجالاً:

لو كنت في زمان النبي محمد من آله أو كنت من أصحابه

ما رام قلبي غير لثم ركابه شرفًا وقد بلغت لثم ركابه»

انتهى. وصلاح الدين المذكور هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الكبير، كان ملّاكاً لحلب، ثم استولى على دمشق وأضافها إلى مملكته سنة ٦٤٨، وجعلها مقر ملكته، وكان سمحاً جواداً حسن الأخلاق، غير أنه لما بلغته كائنة هلاكو ببغداد وقتله للخليفة هرب من دمشق، وكان اجتمع له فيها عساكر كثيرة تناهز المائة ألف فترك الجميع وهرب، ثم أحسن الظن بالمغول واتصل بهم فاستصحبوه معهم ثم غدروا به وقتلوه شر قتلة سنة ٦٥٨. انتهى ملخصاً من تحفة الأحباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب للصفدي، ومن عيون التوارييخ لابن شاكر.

هوامش

- (١) لقب بذلك لأن عمamته كانت تشبه القادوس، وهو إناء من الفخار مستطيل أصغر من الجرة معروض بمصر يُخرج به الماء في الدواليب لسقي الأرضي.
- (٢) هذا من الأدلة المثبتة لبقاء القضيب والبردة عند العباسين إلى زمن آخر خليفة منهم ببغداد.

النعال النبوية

النعل التي كانت عند السيدة عائشة

ذكرها العلامة الأديب أحمد بن محمد المقرى، مؤلف نفح الطيب في كتابه فتح المتعال في مدح النعال، الذي ألفه في مثال النعل النبوية وما قيل فيها، وقد أورد لها عدة أمثلة أقواها في الصحة مثلاً: ذكر أن الأول منهما حذى على نعل نبوية كانت عند أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وأن هذا المثال^١ هو معتمد عدة من الأئمة الثقات: كأبي بكر بن العربي، وابن عساكر، وابن مزروق، والفارقي، والبلقيني، والسخاوي، والسيوطى، وابن فهد، وغيرهم. وأتى على ما يثبت ذلك من الروايات بأسانيدها، ثم صارت هذه النعل الشريفة لإسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة المخزومي، وسبب ذلك على ما رواه عن الثقات أنها كانت عند عائشة (رضي الله عنها)، ثم صارت من قبلها إلى أختها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)، وكانت أم كلثوم تحت طلة بن عبيد الله، فلما قتل يوم الجمل خلفه عليها عبد الله^٢ بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة المخزومي، وهو جد إسماعيل المذكور الذي كانت عنده النعل، ثم ذكر نعلاً آخرى كانت بالمدينة، عند فاطمة بنت عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، ولم يفصح عما صار إليه أمر هاتين النعلين بعد ذلك.

نعل كانت بالأشرفية بدمشق

ذكروا أنها كانت عندبني أبي الحديد يتوارثونها، ثم صارت للملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبى، فجعلها في دار الحديث الأشرفية التي أنشأها بدمشق^٢، وقد أشار إليها ابن كثير في البداية والنهاية ص ٦ في كلامه على النعل النبوية بقوله: «واشتهر في حدود ستمائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له: ابن أبي الحديد نعل مفردة، ذكر أنها نعل النبي ﷺ، فسامها الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب المذكور، فأخذها إليه وعظمها، ثم لما بني دار الحديث الأشرفية إلى جانب القلعة، جعلها في خزانة منها، وجعل لها خادماً، وقرر له من المعلوم كل شهر أربعين درهماً، وهي موجودة إلى الآن في الدار الأشرفية».

ونقل سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (ج ٨ ص ٤٧١) خبر مصير هذه النعل إلى الأشرفية عن الملك الأشرف نفسه فقال في ترجمته الواردة في وفيات سنة ٦٣٥ ما نصه: «وكلت عنده بخلط، فقدم علينا النظام ابن أبي الحديد ومعه نعل النبي ﷺ، فعرفته بقدومه فقال يحضر، فلما دخل عليه ومعه النعل قام قائماً ونزل من الإيوان وأخذ النعل فقبلها ووضعها على عينيه وبكى، وخلع على النظام وأعطاه نفقة وأجرى عليه جرية، وقال: تكون في الصحبة نتبرك بك. وانفصلت عن خلط، وأقام عنده، فبلغني أنه قال: هذا النظام يطوف البلاد وما يقيم عندنا، وأنا أؤثر أن يكون عندي قطعة منها، ثم بات يفكر ورجع عن ذلك الخاطر، ولما أخذ دمشق حكى لي قال: عزمت علىأخذ قطعة منها، فقلت: ربما يجيءبعدي من يفعل مثل فعلك فعليك بتسليم الحال ويؤدي إلى استئصالها بالمرة، فتركتها وقلت: من ترك شيئاً لله عوضه الله أمثاله، ثم أقام عندى النظام شهوراً، واتفق أنه مات وأوصى لي بالنعل فأخذت النعل بأسرها، ولما فتح دمشق اشتري دار قيماز النجمي وجعلها دار حديث وترك النعل فيها، ونقل إليها الكتب الثمينة، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة»^١.هـ. وذكر المقرى في فتح المتعال رجلاً اسمه أحمد من بنى أبي الحديد الذين كانوا يتوارثون هذه النعل رأى اسمه في استجازة من الشيخ المحدث أبي عبد الله البرزالي تاريخها سنة ٦٠٩ منعوتاً بصاحب نعل رسول الله ﷺ، ثم نقل عن تاريخ البدرى في الملك الأشرف ما صورته: «وقد كان شجاعاً كريماً جواداً محباً للعلم وأهله، لاسيما أهل الحديث ومنادمة الصالحين، وقد بنى لهم دار الحديث بالسفح» إلـى أن قال: «وجعل فيها نعل النبي ﷺ الذي ما زال حريصاً على طلبه من النظام ابن أبي الحديد التاجر».

ومن ذكره العلماء واجتمعوا به من بنى أبي الحميد أبو الحسين بن أبي الحميد، ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، وملخص ما نقله عنه المقرى في التعريف به أنه أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله بن القاسم بن الحسن بن عبد الله بن أبي الحسن أحمد بن أبي الفضل عبد الواحد بن أبي بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن سليمان المعروف بابن أبي الحميد السلمي الخطيب كان شيخاً صالحًا سليمان الجانب سيد السيرة من بيت الحديث والخطابة، وكان جده الأعلى أبو الحسن بن أبي الحميد من مشهوري المحدثين. قال ابن عساكر سمعت عنه بدمشق أجزاء ودخلت داره المليحة وقرأت عليه، ورأيت نعل النبي ﷺ معه، وكانت ولادته في جمادى الأولى سنة ٤٦٤ بدمشق ووفاته بها نهار يوم السبت مستهل جمادى الآخرة من سنة ٥٤٦ ودفن في مقابر باب الصغير. ا.هـ.

ونقل المقرى أيضًا كلامًا مفصلاً مفيداً في هذه النعل عن رحلة الحافظ الرحالة أبي عبد الله محمد بن رشيد^٧ الفهري المغربي السبتي المالكي المسماة: «ملء العيبة مما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة» يتلخص في أنه قصد زيارة هذه النعل بالمدرسة الأشرفية المذكورة للتبرك بها والاستشفاء من مرض أصابه فوجد بركتها، ورأى بالمدرسة بيتهما بنيها قبلتها أحدهما عن يمين المحراب به نسخ من المصاحف، والأخر عن يساره فيه النعل الكريمة، وهي فردة واحدة، وقد جعل لهذا البيت باب مصحف بالنحاس الأصفر كأنه صفائح ذهب، وعلق عليه كل حرير ثلاثة خضراء وحمراء وصفراء، ووضعت النعل الكريمة على كرسى من آبنوس، ثم وضع على النعل لوح من آبنوس، ونقر في وسط اللوح بمقدار ما ظهرت النعل منخفضة عن اللوح بمقدار النقر، ولا شك أنه بقي منها تحت أطراف اللوح مقدار ما ثبت به تحت اللوح وما أخذته المسامير التي طوقت به فإن الدائر المحيط بها كله مكوكب بمسامير فضة ويملا ذلك الظاهر منها الذي هو منقوص عليه بأنواع الطيب حتى إن الذي يلثمها يتمرغ فمه في طيبها، وقد وكل بها قيّم له عليها مرة بلغنا أنه أربعون درهماً ناصرية، وأمر بفتحها يوم الإثنين ويوم الخميس للناس للتبرك بلثمتها. ا.هـ.

ثم ذكر المقرى أيضًا أن هذه النعل الشريفة كانت عند أم المؤمنين ميمونة بنت الحارس الهمالي (رضي الله عنها) مما تركه النبي ﷺ فتوارثها ورثتها من بعدها إلى أن وصلت إلى بنى أبي الحميد^٨ وما زال يتوارثونها إلى آخرهم موتاً، وأنه ترك ثلاثين ألف درهم وترك تلك النعل ولدين له فتراضيا على أن يأخذ أحدهما المال ويأخذ الآخر النعل

الشريف فصار يذهب بها إلى أرض العجم ويجد على الملوك فيتبركون بها حتى رجع إلى خلاط فطلب منه الملك الأشرف ابن العادل أن يقطع له منها قطعة يتبرك بها، ثم رجع عن ذلك إلى أن آلت إليه وجعلها في دار الحديث التي ابتناها بدمشق ومما أنسده للحافظ ابن رشيد الفهري في هذه النعل أنه زارها بالأشرفية:

فيما سعد جدي قد ظفرت بمقصد	هنيئاً لعيني إن رأيت نعلَّ أَحْمَدَ
فيما عجبًا زادَ الظُّمَا عِنْدَ مُورِدٍ	وَقَبْلَتْهَا أَشْفَى الْغَلِيلِ فَزَادَنِي
لَمَّا شَفَةَ لَمِيَا وَخَدَّ مُورِدٍ	فَلَلَّهِ ذَاكَ اللَّثَمَ لَهُوَ أَذْكُرُ مِنْ
بِتَارِيخِهِ أَرْخَتْ مُولَدَ أَسْعَدَ	وَلَلَّهِ ذَاكَ الْيَوْمَ عَيْدًا وَمَعْلَمًا
يُحِبُّ وَيُرْضِي رَبِّنَا مُحَمَّدَ	عَلَيْهِ صَلَاتُهُ وَسَلَامٌ طَيِّبٌ كَمَا

وأنشد الإمام أبي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشى قوله لما رأها بالأشرفية وقبلها:

فِيهَا ^١ رَأَتِي عَيْنَاهِي نُعلَّ المصطفى	دار الحديث الأشرفية لي الشفا
نَفْسِي أَنْعَمَى أَكْفَاكَ قَالَتْ لِي كَفِي	وَلَثَمَتْهَا حَتَّى قَنَعَتْ وَقَلَتْ يَا
مِنْ بَعْدِ طَيِّبَةِ مَا أَجْلَ وَأَشْرَفَ	لَهُ أَوْقَاتٍ وَصَلَتْ بِهَا الْمَنْيَ
أَيَّامِكَ الْأَعْيَادِ لَازِمَهَا الصَّفَا	لَكَ يَا دَمْشَقَ عَلَى الْبَلَادِ فَضِيلَةٌ
ذِيَّلًا وَبَرْحَ هَوَى فِيهَا مَا اخْتَفَى	وَلَكُمْ يَجِيرُونَ جَرَتْ وَلَمْ أَخْفِ

وأنشد فيها أيضًا أبياتاً دالية للإمام أبي بكر بن محرز تركنا ذكرها لتحرير وقع بها لم نهتد لصحته.

ومن الحوادث المتعلقة بهذه النعل الشريفة ما وقع بدمشق من نائب الشام سيف كراي زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وذلك أنه قرر على أهل دمشق ما عجزوا عن أدائه فأغلقوا البلد؛ لأنه أدخل في هذه المظلمة أهل الأسواق وحواضر البلد وأملأوها وحاراتها وأمر بكتابتها ليوظف عليها فضَّ الناس وشكوا إلى القضاة والخطباء والأئمة فتواعد الجميع على الطلوع إلى النائب المذكور، فلما كان يوم الإثنين ثالث عشر جمادى الأولى (أو الأخرى) من عام أحد عشر وسبعمائة أخذ الخطيب جلال الدين الفزويني صاحب تلخيص المفتاح والإيضاح المصحف الكريم العثماني ونعل النبي ﷺ من دار الحديث الأشرفية وأعلام الجامع التي تكون بين يدي الخطباء وخرج من باب الفرج

ومعه العلماء والفقهاء والقراء والمؤذنون والأئمة وعامة الناس، فلما وصلوا إلى النائب واستغاثوا أمر بضربهم وقال للجلال القزويني حين سلم عليه: لا سلم الله عليك، وضرب النقاب النساء ورموا المصحف العثماني والنعل الشريفة النبوية فعندما رجمهم الناس وأخذوا الجلال القزويني إلى القصر وخلس العوام المصحف والنعل الشريفة والأعلام ودخلوا البلد، فاتفق بعد عشرة أيام أن عوقيب سيف الدين كراي المذكور وقيد وسجن بأمر الناصر محمد بن قلاوون وناله من الإهانة ما ناله جزاء تهاونه بالمصحف الشريف والنعل النبوية، وفرج الله عن أهل دمشق وفرحوا بالانتقام الإلهي منه.

مصير هذه النعل مع نعل أخرى كانت معها بدمشق

قال المقري: «وقد فحصت عن أمر هذه النعل الشريفة في زماننا هذا فلم أجده لها عند أحد من سألت خبراً، وأظن أنها ذهبت في فتنة تيمورلنك حين خرب دمشق وأحرقها سنة ثلاثة وثمانين مائة حسبما هو مشهور ... وقد سئل بعضهم عن تاريخ تخريب تيمورلنك لدمشق، فقال: سنة خراب، يعني أن لفظ خراب هو التاريخ، وهذا نحو قوله لما سئل عنه سنة قيامه وثورته، فقال: سنة عذاب. يعني ثلاثة وسبعين وسبعيناً، وهاتان توريتان عظيمتان فيهما اتفاق غريب، يعرف ذلك كل أربيب. ثم بعد كتابي لما ذكرته بمدة وقفت على نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس للحافظ برهان الدين الحلبي رحمه الله، فإذا فيه نحو ما ظننته مع زيادة ونصه: (فائدة) الذي بقي من آثاره صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة الآن فيما نعرفه كان بقي نعلان بدمشق، كل فردة في مكان، واحدة بالأشرفية دار الحديث بقرب القلعة، أنشدنا لشيخ الإسلام شيخنا الإمام المحدث أمين الدين الأنفي المالكي^{١٠}»:

وفي دار الحديث لطيف معنى
أحاديث الرسول على تتنى
وفيها منتهى أرببي وسولي
وتقبيل لآثار الرسول

والفردة الثانية في الدمامية^{١١} المدرسية المعروفة للشافعية، ذهبتا في وقعة تيمورلنك لا يدرى أين ذهبتا، والله أعلم. ا.هـ.

قلت: الذي ذكره العلامة عبد الباسط بن موسى العلموي في مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس^{١٢} (ص ٧) أن تيمورلنك أخذهما في تلك الواقعة ونص ما قال في كلامه

على دار الحديث الأشرفية: «وبها نعل النبي ﷺ، وكانت عند الإمام نظام الدين أبي العباس أحمد بن عثمان بن أبي الحديد السلمي مولده بدمشق سنة ٥٦٠، وكان ورثها، أبي: النعل من آبائه وكان الأشرف يقربه ويجله لأجلها ويؤمل أن يشتريها منه ويضعها في مكان ليزار فلم يسمح بذلك، وسمح بأن يقطع له قطعة منها فامتنع الأشرف حذراً من التطرق إلى إعدامها، ثم أقطعه الأشرف وقدر له معلوماً فاستمر كذلك إلى أن توفي سنة ٦٢٥ فأوصى بها للأشرف فأقرها بدار الحديث الأشرفية، ويقال: إنها كانت الفردة اليسرى، وأن الفردة اليمنى كانت بالمدرسة الدماجية، ولم تزال إلى زمن تيمور، فلما دخل دمشق أخذهما».

قطعة كانت عند القاضي عبد الباسط

القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم (وقيل: ابن يعقوب) الدمشقي ثم القاوري ترجمة السخاوي في الضوء اللامع ج ٢ ص ٦٥١ ترجمة طويلة جاء فيها أنه ولد سنة ٧٨٤ بدمشق أو سنة ٧٩٠ أو التي قبلها والأول أشبه، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٢٣ ودفن في تربته التي أنشأها بالصحراء ونال قسطاً وافراً من الواجهة والسؤدد في الدولة، وكان حسن السياسة واسع الكرم اشتري بيت تنكر^{١٣} وأصلاحه وأكمله وسكنه و عمر تجاهه مدرسة بديعة انتهت سنة ٨٢٣ ثم قبض عليه السلطان الملك الظاهر جقمق وأخذ منه قطعة قيل: إنها من نعل المصطفى ﷺ وأهين باللفظ غير مرة ثم أطلق فحج وزار وسافر إلى بعض البلاد وعاد إلى القاهرة مستوطناً لها إلى أن توفي بها.

قلنا: دار تنكر المذكورة لم تزل باقية إلى اليوم بشارع الخرنفتش، وكان يسكنها قاضي القضاة إبراهيم بن جماعة ثم ملكها القاضي عبد الباسط المذكور وتنقلت بعده من مالك إلى آخر حتى اشتراها عباس باشا الكبير قبل توليه على مصر، فغير معالها وجدد بناءها على ما هي عليه الآن وسمتها بالإلهامية نسبة لولده إلهامي باشا ثم اشتراها خليل باشا يكن من تركة إلهامي باشا ثم اشتراها منه عزيز مصر الخديو إسماعيل وأنعم بها على السادة البكرية شيخ مشايخ الصوفية لما أخذ دارهم التي كانت على بركة الأزبكية عند تنظيم شوارعها، وما زالت إلى اليوم للبكرية يسكنونها، والمدرسة التي بناها القاضي تجاهها ذكرها المقريزي في الجواع باسم الجامع الباسطي، وهو باق أيّضاً إلى اليوم ويعرف بجامع القاضي عبد الباسط وبجامع عباس باشا لتجديده بعض بنائه وبه قبر الشيخ أحمد بن خليل السبكي المتوفى سنة ١٠٣٢، وكان يتولى الإمامة والخطابة به، وأما

القطعة من النعل الشريفة فقد فصل المقرizi خبرها في تاريخه المسمى لمعونة دول الملوك ونقله عنه المقرizi بمعناه في فتح المتعال فقال:

«ذكر المقرizi المؤرخ المصري رحمة الله في تاريخه المسمى بالسلوك ما معناه أن السلطان سيف الدين جقمق لما غضب على القاضي زين الدين عبد الباسط وأمر بجعله في البرج دخل عليه والي القاهرة وأمره أن يخلع جميع ما عليه من الثياب فإنه نقل للسلطان أن معه اسم الله الأعظم، ولذلك كان كلما هم بعقوبته صرفه الله عنه فخلع جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة ومضى بها إلى الوالي وبما في أصابع يديه من الخواتم فوجد في عمامته قطعة أديم، ذكر لما سئل عنها أنها من نعل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم. انتهى المقصود منه. ولعلها كانت من التي بالأشerville بالشام، وكان لهذا القاضي الجاه العريض والتصرف في مملكة الإسلام بمصر والشام وما يليهما فلا يبعد أن يحصل له ذلك منها أو من غيرها من النعال النبوية التي كانت يتوارثها من خصه الله بها، والله أعلم». ا.هـ. ما ذكره المقرizi.

النعل الشريفة التي بدار الشرفاء الطاهريين بفاس

ذكر عصرينا العلامة محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني المتوفى سنة ١٣٤٥ في كتابه سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقرب من العلماء والصلحاء بفاس (ج ١ ص ٣٤٣) في ذكر من اشتهر من صلحاء حومة الجزيرة، وما أضيف إليها دار الشرفاء الطاهريين التي بها النعل الشريفة النبوية، فأثارنا نقل كلامه بنصه وإن طال لما فيه من الفوائد التاريخية، قال رحمة الله: «أعلم أن من مزارات هذه الحومة دار الشرفاء الطاهريين الصقليين التي بدرب أبي بكر وهي الأولى عن يمين الداخل إليه من جهة مصمودة لأن بها الآن نعل رسول الله ﷺ الشريفة التي كان يلبسها في رجله الشريفة بعينها وذاتها، وكانت قبل بدار أخرى كانت لهم بدرب الدرج من حومة درب الشيخ، ثم نقلوها إلى هذه وهي في ربوعة في جوف صندوق في مكان مرتفع في غرفة بأعلى الدار المذكورة معظمه محترمة وعندهم الشهادة بخطوط أئمة كبار أنها نعل رسول الله ﷺ، وفي الإشراف في ترجمة الشرفاء المذكورين ما نصه: وبأيدي أصحاب الترجمة من الآثار النبوية والمتبarks

المصطفوية نعلا الرسول ﷺ الكريمتان اللتان كانتا بدمقريه الشريفتين شاع خبرهما منذ
أعوام، ولهج بذلك الخاص والعام قال الوالد قدس سره في نظمه عقود الفاتحة:

ومنهم سادة أبدت صِقلِية^{١٤}
مجلاهم وغدت من بعد في ظلم
وعشبة منهم للثم نعلم
يرى هلال السماء فاتحًا لفهم

وفي تأليف الشيخ الإمام الأوحد أبي مالك سيدي عبد الواحد بن محمد الفاسي في السلالة الصقلية سماه غاية الأمنية وارتقاء الرتب العلية في ذكر الأنساب الصقلية ذات الأنوار البهية السنية، لما تعرض لذكربني طاهر عقب الشرييف الولي الجليل الأحظى الكفيل الأئلي ذي القدر السامي والفضل الجلي أبي العباس أحمد بن علي المتوفى سنة ثلاثة وتسعين وألف ما نصه: وسيدي أحمد بن علي المذكور هو الذي كان حائزاً بداره التي بدرب الدرج من عدوة فاس الأندلسية^{١٥} للنعلين الكريمتين اللتين ليسهما جده مولانا رسول الله ﷺ بقدميه الشريفتين كما شاع خبرهما منذ أعوام ولهج بذلكهما الخاص والعام، أعاد الله علينا من بركتهما آمين.

وقد رآهما وتبرك بهما بالدار المذكورة جماعة من أعيان العلماء منهم الشيخ الحافظ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن شيخ الإسلام أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، وذلك سنة سبع وستين وألف هو وجماعة من الأئمة الأعيان وقيست النعل الشريفة بمثال بشهادة عدلين وكان المقياس^{١٦} له على الأصل الشريف الفقيه العلامة سيدي حمدون المزوار، ونظم ذلك أبو زيد المذكور في أبيات كتبت على ذلك المثال المحذو عليه، وفي نشر المثاني في ترجمة الشيخ الفقيه البركة أبي عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن المذكور^{١٧} ما نصه: ووجدت بخط صاحب الترجمة نسب لوالده هذه الأبيات الخمسة كتبها على مثال مقاس على النعل الذي بيد مولاي أحمد طاهر الشريف الحسيني الصقلي نزيل درب الدرج من عدوة فاس الأندلس الذي عنده الشهادة بخطوط أئمة أنها نعل المصطفى مولانا محمد ﷺ، وهي هذه الأبيات:

نعال بها إذا مسست الأرض شُرّفت	بها الأرض عن أفق السموات في الفضل
فما مثلها ذخر وهذا مثالها	طلاق الذي للمصطفى كان في الرجل
وعند الصقلائيين من شرفائنا	بفاس وجدتها فقيست بهذا المثل

وفي السبع والستين والألف صنعه
محكم إتقان بشاهدَي العدل^{١٨}
وشاهدَه العمراني وهو محمد
أحمد المزار قاسه بالأصل

وفيه أيضًا ما نصه: ومن خط بعض أشياخنا رحمة الله رأيت نعل المصطفى
ﷺ التي بدار الشرفاء الطاهريين الحسينيين الصقليين القاطنين بعدوة فاس الأندلس
فتبركت بها على أعلى البدر والحمد لله وتوسلت بها إلى الله في حوائج فما رأيت أسرع إلى
الإجابة منها في بعضها وأنا أرجو الله في الباقى أوائل سنة أربع وأربعين ومائة وألف
وممن عاينها وتبرك بها من المتأخرین شيخ الجماعة أبو عبد الله سيدی محمد التاودی
بن سودة المري، وفي ذلك يقول:

فيها رأت عيناي نعل المصطفى^{١٩}
دار بمصمودة المكارم والوفا
نفسی أنعمی أکفاك؟ قالت لي کفى
ولثمتها^{٢٠} حتى شبعت وقلت يا

قال في الإشراف: ولعله تمثل بهما مع تغيير في الشطر الأول إذ هما من جملة أبيات
للشيخ الإمام المحدث ابن جابر الوادي آشي نظمها بدار الحديث الأشرفية في دمشق
المحروسة، وقد رأى فيها نعل النبي ﷺ فقبلها وقال:

فيها رأت عيناي نعل المصطفى
دار الحديث الأشرفية لي شفا
نفسی أنعمی أکفاك قالت لي کفى
ولثمتها حتى قنعت وقلت يا
للله أوقات وصلت بها المنی
من بعد طيبة ما أجل وأشرفها
أیامک الأعیاد^{٢١} ألزمها الصفا
لك يا دمشق على البلاد فضیلہ

ومن نسبها لابن جابر المذكور المقرى في أزهار الرياض، وزاد في آخرها بيًّا وهو:

ولكم بجيرون جررت ولم أخف ذيلاً وبربح هوای فيها ما احتفى

وقد قال الشيخ التاودي في حاشيته على البخاري في باب الشرب من قدح النبي ﷺ
من كتاب الأشربة ما نصه: وقد منَّ الله علیَّ مع حقارتي وضعف تعليقي بالسنة والحديث
بأنني رأيت فرداً من نعل النبي ﷺ ومسحت به وجهي وعيني وذلك في العشرة الأخيرة من
المائة الثانية عشرة، وهذه النعل بدار الأشرف الطاهريين بعدوة الأندلس قرب مصمودة

هناك معروف جدهم بصاحب النعال، وكان السلطان مولاي إسماعيل جبر على أخذها فأعطوه واحدة وكتموا الأخرى فلهذا لا يطعون عليها أحداً، وهي عندهم في ربيعة في صندوق في مكان معظم محترم، ورأيت حوله خط واحد من العلماء منمن أدركته لا غير، وكتب حوله فله الحمد والمنة، وقد ذكر في نشر المثاني قضية جبر السلطان المذكور على أخذها حيث قال فيه ما نصه: وفي عام أربعة عشر ومائة وألف شدد في المغرم على أهل فاس السلطان المنصور بالله مولانا إسماعيل ابن الشريف الحسني فطلب أهل فاس من الشرفاء الطاهريين أن يعطوهم النعل النبوية يستشفعون بها للسلطان فحملها بعض الشرفاء المذكورين وساروا إلى السلطان فأحضروها بين يديه ودفعوها له بمكناسة، فعفا عن أهل فاس في تلك القضية، وأخذ السلطان النعل وأدخلها لداره بقصد التبرك وبنى قبة بداره معلومة إلى الآن تسمى قبة النعال ووضع فيها النعل في كوم٢٢، وبقيت النعل عند السلطان مدة حياته ولا أدرى ما وقع بها بعد وفاته. أ.هـ. ومن خط بعضهم ما نصه: الحمد لله وما وجدته مطوقاً بخدي بيت ساداتنا الشرفاء الطاهريين الكائنة بالعدوة المجاورة لمصودة الموضوع فيها نعلا النبي ﷺ:

لهم الجاه الأعز الأشرف	يا بنى الزهراء يا من في الورى
وسرور عنكم لا يصرف	دمتم في نعم لا تنقضى

وها هنا تنبيهات:

الأول: بحث صاحب النشر المذكور في كون النعل المذكورة نعل المصطفى ﷺ بأن الذي يغلب على الظن أن نعاله عليه السلام قد أهلكها الدهر وطول العهد، وبأن المقري في فتح المتعال ذكر في النعال روايات وأمثلة مما عند السحاوي والزين العراقي وغيرهما ولم يخرج على مثال هذه النعل التي بيد الشرفاء المذكورين مع أنه معاصر لها بالزمان والمكان وليس مما يخفى عليه، ومتنه الأمثلة التي ذكر سبعة ومثال ما عند الشرفاء المذكورين أصغر منها كلها، ونحوه قول بعض المتأخرین من الشرفاء القادريين أيضاً في تأليف له في مناقب مولاي عبد الله الشريف الوزاني لم يصح استمرار طول مكتبه عليه ﷺ إلى الآن بعد المائتين وألف؛ لأن الدنيا جميع ما فيها يفنى إلا أشياء استثنوها من ذلك، وقد سألت عن ذلك أهل حرف الدباغة فقالوا لي: إن كانتا من الجلد النيء غير المدبوغ فإنه يسوس، وإن كانتا من الجلد السبتي المدبوغ الذي ليس فيه شعر فإنه يكرف ويبيس ويتمزق، وإن كانتا من الجلد الإفرنجي العنان فإنه يكرف ويتمزق

أيضاً ولا أثر لبقاء وجودهما إلى الآن ومن ادعى شيئاً من ذلك فلا يصدقه العرف في دعوه.

قلت: وفي هذا الذي ذكرناه نظر.

أما أولاً: فقد تقدم أنه شهد لهم بأنها نعل المصطفى صلوات الله عليه وآله وسلامه أئمة علماء، ويبعد كل البعد أن يشهدوا على غير يقين أو ظن قريب من اليقين.

وأما ثانياً: فإن ما استدلا به على فنائهما لا ينهض، فإن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولا يبعد أن ينسحب ذلك أيضاً على بعض ما حل بأجسادهم الكريمة من النعال وشبهها معجزة لهم، وقد وقع لمولانا إدريس الأكبر دفين زرھون أنه ظهر جسده الشريف بكفنه عام ثمانية عشر وسبعمائة ولم تعد الأرض على شيء من الجسد ولا من الكفن المصاحب له، وكان بين وفاته وظهور جسده على الحالة المذكورة خمسمائة سنة وأحد وأربعون سنة وثمانية أشهر.

وأما ثالثاً: فإن الجلد إذا كان محفوظاً مصوناً من الماء والشمس ونحوهما لا يسرع إليه البل بالكلية ولا يبعد بقاوته هذه المدة وأزيد منها، وقد رأينا من الكتب المكتوبة ما له نحو من سبعمائة سنة مع كون كتابته في أوراق من الكاغد ويحل بأيدي كثير من الناس وتطرأ عليه أنواع من التغييرات كثيرة، فكيف بجلد البقر أو الإبل الغليظ المصون عن الأيدي والتغييرات، وعدم ذكر المقرى وغيره لهذه النعل لا ينفيها؛ إذ لم يستوعبوا ذكر النعال التي مشى بها عليه الصلاة والسلام في عمره، وإنما ذكروا منها ما حصلت لهم به رواية أو نقل لهم فيه أمر وما بقي أكثر مما ذكروا بكثير، وقد عد جماعة من الأئمة وهم علماء صلحاء رؤيتهم لهذه النعل التي بيد هؤلاء الشرفاء من أعظم نعم الله تعالى عليهم وتبركوا بها وشاهدوا بركتها ووجودها، وأي دليل أقوى من هذا فلا يعدل عنه إلى التجويزات العقلية التي لا مستند لها إلا الوقوف مع العادة إن سلمت.

الثاني: ما زال الناس يتبركون بمثل النعل والقلنسوة والعكازة والسبحة ونحوها مما ترجى بركته، فأحرى بمرات عديدة ما كان من سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وآله وسلامه، وما زالت حوائجه وآثاره عليه السلام بيد الصحابة فمن بعدهم على وجه الحفظ والأمانة والتبرك بها لا على سبيل الميراث، وذلك معلوم عند من طالع السير والتواريخ.

الثالث: ذكروا لمثال النعل الشريفة خواص عديدة ذكر بعضها في التقاط الدرر تبعاً للمقرى في فتح المتعال، ونصه: ولصورة هذه النعل الكريمة خواص وبركات، فمنها

أن من وضعها على محل وجع يعني بنية صادقة شفاه الله من حينه، وإن أمسكتها متبرگاً بها كانت له أماناً من بغي البغاء، وحرزاً من الشيطان، ومن عين كل حاسد، وإن أمسكتها صاحبة الطلاق بيمنها وقد اشتد عليها الطلاق تيسراً أمرها في الحين، ومن لازم حملها كان له القبول التام ولابد أن يزور النبي ﷺ أو يراه مناماً، ومن سافر به في بر أو بحر فعرضت له آفة خوف أو هلاك نجاحه الله وأمنه. ذكر هذه الأشياء الحافظ المقرى في فتح المتعال منقوله عن الأئمة بسندها وذكر قضايا وقعت من ذلك له ولغيره فانظره.

الرابع: كثير من الناس اليوم يتطير من رؤية هذه النعل التي بيد هؤلاء الشرفاء ويزعمون أن من رأها مات بعد أيام يسيرة، ويدركون لذلك قضايا اتفاقية، ولا صحة لهذا وإنما هو من تخيلات الأوهام التي لا معول عليها، وقد عاش أبو زيد الفاسي بعد رؤيتها قريباً من ثلاثين سنة، والشيخ التاودي أزيد من عشرة أعوام، نعم هذا أمر جعله الله في نفوس العامة ليصون به هذه النعل الكريمة من الابتدا والواقع في يد من لا يرضي حاله، والله تعالى فيما يريد حكم وأسرار لا يعلمها إلا هو سبحانه، والله أعلم». انتهى بنصه، ولم نغير فيه إلا بعض أفعال ونحوت وردت مذكورة في بعض العبارات لعدم النعل من المذكرات وهي مؤنثة، فجعلناها بالتأنيث.

نعل غير صحيحة

وهي نعل أهدتها بعضهم لل الخليفة المهدى العباسى ظهر له أنها غير صحيحة غير أنه قبلها وأجاز مهديها سياسة منه، ذكر ذلك ابن شاكر في ترجمته في فوات الوفيات ج ٢٥ ٢٢٥ ونص عبارته: وجلس المهدى جلوساً عاماً فدخل عليه رجل وبده منديل فيه نعل فقال: يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينيه وأعطاه عشرة آلاف درهم فلما خرج قال لجلسائه: ما ترون أني أعلم أن رسول الله ﷺ لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها، ولو كذبناه لقال للناس: أتيتُ أمير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ، فردها على، وكان من يصدقه أكثر من يكذبه؛ إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوي وإن كان ظالماً، فاشترينا لسانه، وقلنا هديته، وصدقناه قوله، وكان الذي فعلناه أرجح وأنجح». انتهى ٢٣ .

هوامش

- (١) كان بعضهم يحذو على النعل الشريفة نعلًا يحفظها ليحذو عليها غيره، وبعضهم يجعل المثال مخطوطًا على الورق.
- (٢) ذكر المقرئ أنه رأى في بعض الروايات أن الذي خلف طلحة على أم كلثوم، هو عبد الرحمن، والذي تبين له أنه ابنه عبد الله لأدلة ذكرها.
- (٣) في كتاب منادمة الأطلال ومسامرة الخيال في مدارس دمشق ومساجدها لعصرينا العلامة عبد القادر بن أحمد مصطفى الشهير بابن بدران المتوفى بدمشق في ربيع الثاني سنة ١٢٤٦ أن المدرسة الأشرفية المذكورة باقية إلى اليوم في أوائل سوق العصرونية من الجانب الغربي، وقد وصف حالتها التي هي عليها الآن وما جدد بها وذكر أنه كان يسكن بها في غرفة علوية أثناء طلبه للعلم وألف بها بعض كتبه، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان أن الملك الأشرف المذكور ولد سنة ٥٧٨ وأول شيء ملكه أمرها سيره إليها والده ثم ملك حرّان وغيرها، ولما توفي أخوه المعظم وقام بعده ولده الناصر داود ملك الأشرف منه دمشق وجعلها مقر ملكه وبنى بها دار الحديث وتوفي بها سنة ٦٣٥ وكان ملّاكاً حليماً كريماً الأخلاق محباً لأهل الخير والصلاح ميموناً مؤيداً في الحروب.
- (٤) الراجح أنه الملقب بالنظام نفسه فسيأتي أن اسمه أحمد وأنه ولد سنة ٥٦٠ وتوفي سنة ٦٢٥.
- (٥) في نسخة: ومقارنة.
- (٦) راجعنا هذه الترجمة في نسخة تاريخ ابن عساكر التي عندنا فلم نجد فيها ذكرًا للنعل الشريفة والننسخة كثيرة السقط والتحريف لا يعود على ما فيها، وبها أيضًا اختلاف في نسب عبد الرحمن المذكور عما ذكره المقرئ فإنه بها (عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن أحمد) إلخ بإسقاط القاسم وإسقاط عبد الله الذي بعد الحسن وهو الموفق لما في نسخة مخطوطة عندنا في الإصابة للحافظ ابن حجر في ترجمة جده الأعلى سليمان المعروف بأبي الحديد ولكن جاء في نسخة أخرى مخطوطة عندنا أيضًا في الإصابة والننسخة المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة (عبيد الله) بدل عبد الله وليحقق هذا النسب.
- (٧) هو محمد بن عمر بن محمدالمعروف بابن رشيد مصغر رشد كما في شرح العلامة الزرقاني على المawahب اللدنية للقسطلاني وله ترجمة في الدرر الكامنة وبغية

الوعاة وشذرات الذهب وكانت ولادته سنة ٦٥٧ ووفاته بفاس سنة ٧٢١. والذي في شرح الزرقاني على المواهب ٧٣١ ورحلته المذكورة في ست مجلدات.

(٨) أول من وصلت إليه منهم جدهم الأعلى سليمان السلمي المعروف بأبي الحديد صاحب رسول الله ﷺ فقد جاء في ترجمته في الإصابة للحافظ ابن حجر أن بنيه ورثوها عنه إلى أن وصلت إلى آخرهم أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٦٢٥ ثم صارت للملك الأشرف فجعلها في الأشرفية بدمشق. قال وقد ذكرها الذهبي وغيره ويعبّرون عنهم بالأثر الشريف.

(٩) في نسخة (فيها) بمثناة تحتية.

(١٠) هو أمين الدين محمد بن علي بن الحسن الشهير بالأنفي بفتح الهمزة والنون وكسر الفاء المتوفى سنة ٧٨٦ (لحظ الألحاظ لابن فهد ص ١٦٨-١٦٧ من مجموعة ذيول الحفاظ وشذرات الذهب ص ٥٩٦ ج ٣).

(١١) مدرسة كانت بدمشق مشتركة بين الشافعية والحنفية أنشأتها السيدة عائشة جدة فارس الدين بن دماغ سنة ٦٣٨ وهي زوجة شجاع الدين محمود بن دماغ العادلي، وقد زالت هذه المدرسة وأقيمت الآن في موضعها مصنع لعمل النشا ودار لسكنى كما في منادمة الأطلال لابن بدران.

(١٢) اختصر فيه كتاب تنبية الطالب وإرشاد الدارس لما في دمشق من الجوابع والربط والمدارس لمحيي الدين عبد القادر العليمي المتوفى سنة ٩٢٧.

(١٣) كان من أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون، وتولى نيابة دمشق وأنشأ بها جامعاً ثم أشيع أنه يريد العبور إلى بلاد التتار فتتذرع له الناصر وقبض عليه وحمل إلى الإسكندرية فقتل سنة ٧٤١، ثم نقلت جثته سنة ٧٤٣ إلى دمشق ودفن بجوار جامعه بشفاعة ابنته واستولى الناصر على شيء كثير مما خلفه من المال والجواهر والثياب المطرزة وغير ذلك.

(١٤) في معجم البلدان لياقوت: «صقلية بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضًا مشددة». انتهى فتخفف الناظم ياءها هنا للوزن.

(١٥) أحد قسمي فاس لأن الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم المولود سنة ١٧٧ والمتوفى سنة ٢١٣ لما أراد إحداث فاس جعلها مدینتين متصلتين إحداهما عدوة الأندلسيين وكان تأسيسها سنة ١٩٢ والثانية عدوة القرويين وكان تأسيسها سنة ١٩٣ وسميت عدوة الأندلس بمن

نزلها من الأندلسين الذين أجlahم الحكم بن هشام عن الأندلس وسميت عدوة القرويين لأن أول من نزل بها مع الإمام إدريس ثمانية بيوتات من أهل القيروان. انتهى مستقادةً من كتاب جذوة الاقتباس ص ٢١-٩، ٩٦-٩٥ وغيرها.

(١٦) قوله: المقياس هو بضم فكسر اسم فاعل من أقسام، وكذلك ما جاء بعده في عبارة — نشر المثاني من قوله (مقاس) أي بصيغة اسم المفعول من أقسام أيضًا، وكلاهما سبق قلم؛ لأن المعروف في اللغة قاس واسم الفاعل منه قائل هو بضم أوله واسم المفعول مقياس بفتح فكسر وأصله مقيوس على ما هو مقرر في التصريف.

(١٧) لم نعثر على هذا النقل في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي المتوفى سنة ١١٣٤ في نسخة نشر المثاني المطبوعة على الحجر بفاس سنة ١٣١٠ ولا في ترجمة والده الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة ١٠٩٦، فلعله سقط من هذه النسخة.

(١٨) كذا ولعل الصواب (بشاهد العدل) وقد نقلنا الأبيات كما وردت ولا يخفى ما فيها من الضرورات في الوزن.

(١٩) لعله (دار بمصود) بحذف التاء لضرورة الوزن.

(٢٠) في الأصل (ولثمه) والنعت كما لا يخفى مؤنته.

(٢١) تقدم لنا نقل هذه الأبيات عن فتح المتعال للمقرئ وبها في هذا البيت (لازمها) مكان الزمها وهو أوضح معنى.

(٢٢) لعله كوم من الطيب كمسحوق الصندل ونحوه.

(٢٣) هذا الفصل الخاص بالنعال النبوية وجدت أصوله بخط المؤلف المرحوم تيمور باشا.

الخاتمة

ووجدت بين مخلفات المؤلف أوراق شتى هي بعض المذكرات والتعليقات التي عُول عليها في كتابة تلك الفصول قبل أن ينشر أكثرها في مجلة الهدایة الإسلامية سنة ١٣٤٨هـ، وقد عثرنا بين هذه الأوراق بورقة كتب فيها المؤلف هذه الأسطر، فإذا هي خير خاتمة لتلك الفصول النفيسة في الآثار النبوية:

ليس في هذه الآثار ولا فيما أوردناه عنها من النصوص ما يبعث على الاسترابة في نسبتها إلى المقام النبوي الكريم، ولا يخفى أن كل شيء محتمل للصحة إذا لم يلْمِز بطعن أو يُحْفَّ بشبهة واستفاضت به الأخبار كان حقيقةً بأن تطمئن إليه النفوس وتتلقاه بالقبول، ولاسيما إذا كان أثراً منسوباً إليه ﷺ لا تؤمن فيه مغبة الشك والإنكار؛ ولهذا رأينا ذوي الحيطة من السلف ومن آئتم بهديهم في كل جيل يتحرجون عن المجازفة بالإنكار في مثل هذه الآثار، ويرون السلامة في قبولها والتسليم بها ما لم يمنع مانع.

